عقيدة الشهيد
سيد قطب المفترى عليها

إعداد : ولاء حامد



كتاب المختار

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أسسه حسين عاشور عام ١٩٧٩
٣ حارة الجمل - المتفرعة من ميدان السيدة زينب - القاهرة
تليفون ،فاكس ٣٩٢٢١٥١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه و نستهديه ونستغفره ونعوذ بـــالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـــه ومـــن يضلل فلن تجد له من دون الله وليا مرشدا .

وبعد

فإن الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله كان واحدا من أئمة الخير والهدي الذين يصلح الله بهم ما فسد في نفوس الناس من معـــالم هـــذا الدين ويحي به ما اندرس من سنن الهدي .

سخّر رحمه الله فكره وقلمه في الدفاع عن الإســـلام ، وشـــرح معانيه ، ورد شبهات أعدائه ، وتقرير عقائده وأحكامه ، على وجـــه قلّ من يباريه أو يجاريه في هذا الزمان .

ولقد كان رحمه الله مثالا حيا للمؤمن الواثق في ربه في ثباته علي الحق الذي آمن به ودافع عنه حتي قضي في سبيله شهيدا تشكو روحه إلي بارئها ما وصلت إليه الأمة من هوان وجهل بدينها .

و لم تكن حياة الشيخ رحمه الله هي المقصودة يوم اغتالته الأيـــدي الآثمة بل كان المقصود فكره ومنهجه رحمه الله تعالي ، ورغـــم مـــرور السنين علي اغتياله إلا أن منهج الشيخ وحصاد قلمه وفكـــره مـــازال

نبراسا يضئ طريق الصحوة الراشدة ويشع نورا علي جنبات طريقهـــا ويضع علي الطريق المعالم .

مازال الشباب يقرأون ما كتب الشيخ ويتربون علـــي منهجـــه ويلتمسون من بين صفحات كتبه فهما صـــافيا لكتـــاب الله المـــنزل ومنهاج الله القويم .

هذا البقاء لمنهج الشيخ رحمه الله مازال يقلق الظـــالمين ويقـــض مضاجعهم فماذا يفعلون ؟.. يستكتبون أقلامـــا وينشـــرون أوراقـــا سودوها تطعن في منهج الشيخ رحمه الله وتتهمه بزيغ العقيدة وفســـاد الإيمان !! وهل قدم سيد روحه رخيصة إلا فداء للإسلام وعقيدته ؟..

لقد كتبوا عن عقيدة الشيخ الكثير والكثير وروجوا حولها مـــن الإشاعات ما الله به عليم يرومون التأثير علي عقول شباب الصـــحوة وفتياهّا ، ولكن هيهات هيهات ، لن يطفئوا بأنفاسهم شمسا متربعة في كبد السماء .

نعم لقد أثروا علي بعض الذين لا يعرفون عن خلق الإسلام شيئا وما سمعوا عن قوله تعالي :

﴿ **وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَـــا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ** ﴾ (الحشر : ١٠) والذين لا يعرفون للعلماء فضلهم وحرمتهم لا السابقون الأولون ولا الذين جاؤا من بعدهم .

وشاء الله عز وجل لي أن ألتقي ببعض هؤلاء وأن يـــدور بيننـــا نقاشات عدة حول تلك المسألة .. فكنت أطلع علي ما كتبه خصـــوم الشيخ واتعجب من كثرته علي جهالة ما فيه !.. وأطلع علي ما كتبه المنصفون في حق الشيخ وأتعجب من قلته وندرته رغم كثرة تلامـــذة الشيخ ومحبيه !

أخذت أجمع ما كتبه المنصفون من مقالات متناثرة هنا وهنـــاك وأسترشد بها في دراسة كتابات الشيخ رحمه الله والدفاع عنـــه وعـــن فكره الراشد فكان هذا الكتاب .

فليس لي في هذا الكتاب إلا الجمع والترتيب إلا القليل النادر أما الكاتب الحقيقي لهذا الكتاب فهو الشيخ سيد قطب نفسه الـــذي رد علي خصومه من خلال كتاباته .. وشارك فيه أحباء الشيخ وتلامذته والمنصفون من الكتاب الذين أرشدوني من خلال مقالاتهم إلي مواضع هامة في كتابات الشيخ يتجاهلها المغرضون لحاجة في نفوسهم .

وبعد أخي الحبيب فإن بين يديك الآن رسالة هدفها إظهار الحق في تلك الإتهامات الفاجرة التي توجه للشيخ وفكره ومنهجـــه ، وقـــد جعلتها في أربعة فصول وخاتمة جعلت الفصل الأول في بيـــان منـــهج التعامل مع زلات العلماء ، والفصل الثاني ذكرت فيه ترجمـــة لحيـــاة الشيخ رحمه الله ، وفي الفصل الثالث قمت بـــالرد علـــي شـــبهات المغرضين من خصوم الشيخ رحمه الله ، وفي الفصل الرابع ذكرت طرفا من فتاوي العلماء المنصفين في حق الشيخ رحمه الله تعالي .

فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ولعلها تكون فاتحة خير تدفع أساتذتي للكتابة في نفس الموضوع تأدية لحق الشيخ علينا جميعا .

والله وحده أسأل قبول هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

أبو محمد

ولاء حامد

الزيتون – القاهرة

wemoed @ yahoo.com

الفصل الأول

التعامل مع زلات العلماء
بين أهل السنة وأهل البدع والأهواء

سوء الظن بالمسلمين والطعن علي العلماء والدعاة والحقد والحسد لهم علي ما آتاهم الله من فضله مرض قلبي قديم يصاب به من تركـوا قلوبهم وعقولهم ألعوبة بيد الشيطان ، ولذلك فإنك لا تقرأ في ترجمـة أحد من كبائر الأئمة إلا وتري حياته مليئة بالمحن الـتي سـببه حقـد الحاقدين وحسد الحاسدين .

فهل كانت محنة الإمام الممتحن أبو عبد الله أحمد بـن حنبـل إلا فصلا من فصول تلك المأساة يوم ادعي المبطلون فساد عقيدته فعـاني رحمه الله من جراء ذلك سنوات وسنوات من السـجن والإضـطهاد حتي برأه الله مما قالوا .

وغير أحمد كثير فأبوحنيفة ومالك والشافعي عانوا من الحاقـدين والحاسدين أكثر مما عانوا من الكافرين ومازالت جـدران السـجون تشهد علي سجناء ملئوا الدنيا نورا وعلما وتقا كالبخاري وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

ألم يمت أبو حنيفة وهو مختبئ عن أعين الخليفة لوشاية فيه ؟

ألم يسجن مالك ويعذب حتي كسرت ذراعيه ؟

ألم يمضي الشافعي جزأ من حياته فارا هاربا من جند السلطان ؟

ألا يعاني أبو حنيفة ومالك والشافعي إلي اليـوم مـن أنـاس لا يحسنون قراءة الفاتحة يتهمون الأئمة بالإبتداع والتفرق في الدين ؟

إن هذه فئة البغيضة التي استباحت حرمة العلم والعلماء ليسـت حديثة انما هي قديمة قدم الزمان قال عنهم الصحابي الجليل أبو هريـرة رضي الله عنه : "يبصر احدكم القذاة في عين اخيه وينسى الجـذع أو الجذل في عينيه" .

وحذر من منهجهم الامام الحافظ ابن حبان فقال:" الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مـع الاشـتغال باصلاح عيوب نفسه فان من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره اراح بدنه و لم يتعب قلبه فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من اخيه وان من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعـب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه وان من اعجز الناس مـن عـاب الناس بما فيهم واعجز منه من عابهم بما فيه ، من عاب الناس عابوه".

كما نصح لهم الامام ابن الجوزي في كتابه القيم تلبيس إبلـيس فقال : "ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلـس في مجمـع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق علـيهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيرا منه لنـدمهم وكـبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لانه يعلـم مـن لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما امكن".

ولقد حذر العلماء من قديم من الذين يتتبعـون زلات العلمـاء ويتصفحون الكتب لا للعلم ولكن لخط الخطوط تحت العبارات الـتي يظنونها خطأ وهي ليست بأخطاء عند غيرهم لا يحملهم علي ذلك إلا سوء الظن أو فساد النية .

فهذا الحافظ ابن عساكر – رحمه الله تعالى – يقول :
"واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممـن يخشـاه ويتقيه حق تقاته ، أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهممسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ؛ لأن الوقيعة فيهم مرتع وخيم ، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم" (تـبين كذب المفترى /٢٩)

ولقد اتفق أهل الحق والعدل علي أنه ما من عالم إلا وله هنات وزلات ولكن هذه الهنات والزلات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه ولا ناقضة لفضله .

فهذا الصنعاني – رحمه الله تعالى – يقول :
(وليس أحد من أفراد العلماء إلا وله نادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتجتنب) ... (سبل السلام ج ١) .

وهذا أبوهلال العسكري يقول : (ولا يضع من العالم الذي برع في علمه: زلةٌ ، إن كانت على سبيل السهو والإغفال ، فإنه لم يعر من الخطأ إلا من عصم الله جل ذكره .. وقد قالت الحكماء : الفاضل من عُدت سقطاته ، وليتنا أدركنا بعض صوابهم أو كنا ممن يميز خطأهم) . (شرح ما يقع فيه التصحيف / ٦) .

وهذا الحافظ الذهبي – رحمه الله تعالى – يؤكد علي هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه العظيم "سير أعلام النبلاء" فيقول رحمه الله في ترجمة كبير المفسرين قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٧ هـ رحمه الله تعالى : (ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعلم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم: لانقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك) .
(سير أعلام النبلاء : ٥ / ٢٧١)
وقال أيضاً في دفع العتاب عن الإمام محمد بن نصر المروزي – رحمه الله تعالى – : (ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد

المسائل خطأ مغفوراً له ، قمنا عليه ، وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هـو هـادي الخلق إلى الحق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعـوذ بـالله مـن الهـوى والفظاظة) .. (سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٤٠)

وقال في ترجمة إمام الأئمة ابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ - رحمه الله تعالى- (وكتابه : في التوحيد . مجلد كبير . وقـد تـأول في ذلك حديث الصورة . فليعذر من تأول بعض الصفات ، وأما السلف فما خاضوا في التأويل ، بل آمنوا وكفوا ، وفوضوا علم ذلـك إلى الله ورسوله ، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدعناه ، لقل من يسلم من الأئمة معنا . رحم الله الجميع بمنه وكرمه) . (سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٣٧٤)

وقال في ترجمة : باني مدينة الزهراء بالأندلس : الملـك الملقـب بأمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد صاحب الأنـدلس المتـوفى سـنة ٣٥٠هـ : (وإذا كان الرأس عالي الهمة في الجهاد ، احتملت له هنات ، وحسابه على الله ، أما إذا أمات الجهاد ، وظلم العباد ، وللخـزائن أباد ، فإن ربك لبالمرصاد) . (سير أعلام النبلاء : ١٥ / ٥٦٤)

وقال في ترجمة : القفال الشاشي الشافعي المتوفى سنـة ٣٦٥ هـ - رحمه الله تعالى - : (قال أبو الحسن الصفار : سمعت أبا سهل الصعلوكي ، وسُئل عن تفسير أبي بكر القفال ، فقال : قدسـه من وجه ودنسه من وجه ، أي : دنسه من جهة نصـره للاعتـزال . قلت : قد مر موته ، والكمال عزيز ، وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل ، فلا تدفن المحاسن لورطة ، ولعله رجع عنها . وقد يغفر لـه في استفراغه الوسع في طلب الحق ولاحول ولا قوة إلا بالله) . (سـير أعلام النبلاء : ١٦ / ٢٨٥)

وقال بعد أن ذكر بعض الهفوات لأبي حامد الغزالي المتوفى سـنة ٥٠٥ هـ - رحمه الله تعالى- : (قلت : الغزالي إمام كبير ، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ) . (سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٣٣٩)

وقال أيضاً : (قلت : مازال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً ، ويـرد هذا على هذا ، ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل) .. (سير أعـلام النبلاء : ١٩ / ٣٤٢)

وقال ايضاً : (فرحم الله الإمام أبا حامد ، فأين مثله في علومـه وفضائله ولكن لاندعي عصمته من الغلـط والخطـأ . ولاتقليـد في الأصول) . (سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٣٤٦)

ونبه على حال مجاهد فقال: (قلت : ولمجاهد أ قوال وغرائـب في العلم والتفسير تُستنكر) . (سير أعلام النبلاء : ٤ / ٤٥٥) .

وقال في ترجمة ابن عبد الحكم : (قلت : له تصانيف كـثيرة ، منها : كتاب في الرد على الشافعي . وكتاب أحكام القرآن . وكتاب الرد على فقهاء العراق . ومازال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف ، وبمثل ذلك يتفقه العالم ، وتتبرهن لـه المشكلات ولكن في زمننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته ، ولطلبه للظهور والتكثر ، فيقوم عليه قضاة وأضداد، نسأل الله حُسن الخاتمة وإخلاص العمل) .. (سير أعلام النبلاء : ١٢/ ٥٠٠)

وقال في ترجمة إسماعيل التيمي المتوفى سنة ٥٣٥ هـ : (اخطـأ ابن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يطعن عليه بذلك بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب . قال أبو موسى - المديني - : أشار بهذا إلى أنه قل إمام إلا وله زلة ، فإذا ترك لأجل زلته ، ترك كثير من الأئمة ، وهـذا لا ينبغي أن يفعل) .. (سير أعلام النبلاء : ٢٠ / ٨٨)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – يؤكد علي تفس المعني فيقول : (إنه لو قدر أن العالم الكثير الفتاوى ، أفتى في عدة مسائل بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه، وخلاف ما عليه الخلفاء الراشدون : لم يجز منعه من الفتيا مطلقاً ، بل يبين له خطؤه فيما خالف فيه ، فمازال في كل عصر من أعصار الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من علماء المسلمين من هو كذلك) . (مجموع الفتاوى : ٢٧ / ٣١١) .

ولقد فضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – صنفا من الذين يغتابون العلماء العاملين وغيرهم فقال: (فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون أو فيه بعض ما يقولون لكن يرى انه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم) . (مجموع الفتاوى : ٢٨ /٢٣٧)

فهذا هو منهج الإسلام في التعامل مع زلات العلماء كما قرره علماء الأمة الثقات : مدح العالم بكثرة فضائله وغمر زلاته في جنب حسناته ، لا منهج أهل البدع والأهواء في التشهير بالعلماء ودفن حسناتهم لزلة أو خطأ وقعوا فيه . فالله المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل في من سلك طريق المبتدعة وأهل الأهواء .

الفصل الثانى

مقتطفات من كتاب عملاق
الفكر الإسلامى الشهيد سيد قطب

"إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم .. أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم .. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق ، إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة ، حتى إذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء " .. دراسات إسلامية (١٣٩)

"إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين ... الله سبحانه هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع ، فهي بيعة مع الله ، لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ، ولا في ماله.. لتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله لله" في ظلال القرآن (١١-١٧١٦) .

أصله ونشأته

ولد -رحمه الله- في قرية من قرى الصعيد اسمها (موشــه) ســنة ١٩٠٦م ، وهي تتبع محافظة أسيوط لأبوين كريمين متوسطي الحــال ، يحملان سمت أهل الصعيد المصري من سمرة في البشــرة ، وقســمات وجوههم تعكس بعض ما جبلت عليه فطرتهم من غيرة على العرض ، إلى الطيب المتأصل في أعماق نفوسهم ، والكرم الــذي لا يفــارقهم سواء في سني الجدب أو الخصب والنماء ، هذا فضلا عــن العاطفــة الفياضة الجياشة التي تربطهم بشدة بهذا الدين القــويم ، ولقــد ذكــر الأستاذ سيد في مقدمة التصوير الفني في القرآن أن روح أمه المتدينة قد طبعته بطابعها ، وفي مقدمة مشاهد القيامة أنه قد تــربى في مســارب نفسه الخوف من اليوم الآخر من خلال الكلمات والتصــرفات الــتي كانت تنطلق من والده من خلال ممارسته أعماله اليوميــة ، والقيــام بضرورياته من طعام وشراب وغيرها ، فتركت شخصــية الوالــدين بصماتها واضحة على قلبه.

ويقال إن أصل الأستاذ سيد قطب هندي ، وأن حسينا – جــده الرابع – قد هاجر من الهند إلى أرض الحرمين حيث البيــت العتيــق ومثــوى المصطفى صلي الله عليه وسلم ، ثم هاجر إلى مصر واســتقر في هذه القرية المصرية .

نشأته:

درج في مراحل الطفولة الأولى في قريته في أحضان والديه اللذين أرضعاه حب هذا الدين من خلال التدين الفطري الذي طبعت عليــه

هذه الأنفس ، ثم انتقل إلى القاهرة حيث يسكن خاله ، وواصل تعليمه ودخل دار العلوم ، وبرزت مواهبه الأدبية إبان دراسته ، وكان يكتب في عدة مجلات أدبية وسياسية منها (الرسالة) ، (اللواء الاشتراكية) ، ولقد كتب عنه أستاذه مهدي علام في تقديمه لرسالة (مهمة الشاعر في الحياة) التي ألقاها سيد قطب كمحاضرة في دار العلوم يقول :

(لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة ، ويعجبني فيه جرأته الحازمة التي لم تسفه فتصبح تهورا ، ولم تذل فتغدو جبنا، وتعجبني فيه عصبيته البصيرة ، وإنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم.

وفي الأربعينات تولى رئاسة تحرير مجلة (الفكر الجديد) لصاحبها محمد حلمي المنياوي ، ولقد بدت في هذه المجلة نزعة سيد قطب العدائية للملك فاروق ، وقد كان مجاهرا في نقده اللاذع حتى دس إليه فاروق من يطلق عليه النار ، فأخطأه الرصاص ، ولقد صدر من المجلة ستة أعداد صودر عددان منها ثم اضطرت الحكومة لإغلاقها بعد ستة أعداد .

ولقد تتلمذ الأستاذ سيد قطب أدبيا على يد العقاد ، وكان يتردد على طه حسين ، وحمل لواء المعارضة للأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي .

ولقد كتب في أوائل الأربعينات كتابيه الشهيرين : التصوير الفني في القرآن ، وقد أهداه إلى أمه ، ومشاهد القيامة في القرآن وأهداه إلى روح أبيه ، وكم كانت دهشة القراء عندما وجدوا أن الكتابين يخلوان من البسملة، إذ لم يكن سيد قد اتجه الوجهة الإسلامية بعد .

بعض ملامحه وصفاته الشخصية

١ – الصدق :

إن من أبرز الصفات في نفسية سيد قطب الصدق ، وهذه الصفة طبعت كتابته كلها بالوضوح ، ولقد عمق الإسلام هذه الصفة في مسارب نفسه ، فأضحى الصدق عنوان لتعامله وكلامه ينبض بكل كلمة من كلماته وتنم عنها كل عبارة من عباراته ويبدو لك هذا جليا من خلال الطبعة الثانية من الظلال ومن خلال فصول المعالم .

كان يقول لأحد تلامذته واسمه سيد أيضا ، تعال يا سيد نراجع معا فصلا من فصول هذا الكتاب ، وأنا أظن أن أبواب السجن ستفتح له ولنا من جديد وقد تنصب لنا أعواد المشانق .. فيرجوه تلامذته ألا يطبع المعالم حفاظا على حياته فيرفض بإباء قائلا: لا بد أن يتم البلاغ.

وقد سأله تلاميذه لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك ؟.. فقال : لأن التورية لا تجوز في العقيدة ، ولأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص ، ويبدو أن هذه الصفة هي الطابع المميز لأل قطب جميعا ، فلقد قالت حميدة شقيقته : كان بإمكاني أن أعفى من سجن السنوات العشر لولا أني أبيت أن أكتم عقيدتي ورفضت إلا أن أصارح الطواغيت بكفرهم .

يقول في فصل "نقلة بعيدة" (معالم في الطريق ٢٠٦) :

(لن نتدسس إلى الناس بالإسلام تدسسا ولن نربت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة ، سنكون معهم صرحاء غاية الصراحة ، هذه الجاهلية التي فيها خبث ، والله يريد أن يطيبكم) .

٢ – الشجاعة والرجولة :

ولقد كان خلق الرجولة بارزا في تصرفاته سواء في جاهليته أو إسلامه فلم يسف ولم يسقط ولم يهو في مهاوي الرذيلة ، ولم يغرق في مستنقعات الوحل والجنس ، وأنت تقرأ له في حبه في جاهليته قصة (أشواك) فتلمح من خلال الإهداء رجولته ، يقول في الإهداء :
(إلى التي خاضت معي في الأشواك ، فدميت ودميت ، وشقيت وشقيت، ثم سارت في طريق وسرت في طريق جريحين بعد المعركة، لا نفسها إلى قرار ، ولا نفسي إلى استقرار) .

لا تجد فيه نتن الفاحشة ، وإنما تلمح شخصية معتدلة تعبر عن تجربة بشرية بكلمات أدبية ، دون تميع ولا انحراف ولا إسفاف ولا تهافت .

وخلق الرجال وجده الإسلام خامة طيبة في أعماق الأستاذ سيد فنماها ووجهها فأتت بالأعاجيب من فوق القمة التي أرتفع إليها ، يقول في مقدمة الظلال :

(وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض ، وإلى اهتمامات أهلها الهزيلة الصغيرة، أنظر إلى تعاجب أهل الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال وتصورات الأطفال ، واهتمامات الأطفال، كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال ، ومحاولات الأطفال ، ولغة الأطفال ، وأعجب ، ما بال هذا الناس ، ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة) .

ومن هنا داس دنيا الحكام وآثر العيش وراء قضبان الزنزانة ، وكان يقول : (إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية) ، رغم أن وزارة المعارف تعرض عليه في السجن.

ويقول : لماذا أسترحم ؟. إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوما بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل ، بينما حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه .

وبعد صدور حكم الإعدام وفي يوم الأحد (٢٨-٠٨-١٩٦٦م) وقبل تنفيذ حكم الإعدام جاء قرار موقع من الطاغوت الهالك - عبد الناصر - : (ينفذ حكم الإعدام بكل من : سيد قطب ، محمد يوسف هواش، عبد الفتاح إسماعيل ، ومع الكتاب إشارة إلى محاولة استدراج سيد قطب إلى اعتذار يخفف به حكم الإعدام عنه ، فجاء حمزة البسيوني مدير السجن الحربي إلى حميدة قطب وأطلعها على القرار ، ثم أردف قائلا : لدينا فرصة واحدة لإنقاذ الأستاذ ، وهي اعتذاره ، وأنا أتعهد بإخراجه بعد ستة أشهر ، قالت حميدة : فجئت أخي فذكرت له ذلك ، فقال : لن أعتذر عن العمل مع الله.

وفي شهر آب سنة (١٩٦٥م) وهو نفس الشهر الذي اعتقل فيه أرسل إليه المباحث واحدا فتسور الدار ودخل ليفتش فأمسكه وأنبه وأدبه ، وقال : (إن للبيوت حرمات ألا تعرف أدب الدخول ؟.. ثم كتب كتابا وأرسله إلى مدير المباحث وقال : (أرسل إلي بشرا ولا ترسل كلابا) ثم ذهب إلى قسم المباحث ، وقال :
(جئتكم حتى تعتقلوني) .

٣ – كرمه وسخاؤه :

وهذه صفة تقترن مع الشجاعة غالبا ، فلقد كان سيد ينفق كـــل ما يأتيه ولا يدخر شيئا، وكان لكثير من نزلاء ليمان طرة في أموالـــه شيء معلوم ، حتى من المجرمين ، ومن السجانيين ، ولقد كان يشـــفق على حالة السجانيين الأسرية ، وضيق ذات يدهم فيرثي لحالهم ويخفف من كربهم وضنكهم وبأسائهم .

ولقد ملك مضائه وسخائه هذا قلوب عارفيه ، وأصبح بكرمـــه الآسر هو المدير الفعلي لسجن ليمان طره ، حتى كان الحلواني – مدير السجن – يقول : إن المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب ، وأقـــرأ إن شئت رسالته الصغيرة (أفراح الروح) : (وكيف كان يفجـــر ينـــابيع فطرة الخير في قلوب المجرمين ، وفي هذه الرسالة زاد كبير للعاملين من الدعاة .

ولذا فقد مضى إلى ربه وهو لا يملك مترا واحدا فوق هذه الغبراء (فهو بصدقه وفي العهود ، وبكرمه أسر القلوب ، وبتواضعه ألف بـــين الجنود ، وبشجاعته وصلابته قاد الجموع) .

٤ – تواضعه :

فبالقدر الذي كان يستعلي به على الطغاة كان يتواضع ويتطـــامن للمؤمنين من تلامذته ، فترى أحدهم يشير عليه أن يحذف فقرة مـــن مسودة التفسير أو يصحح عبارة فيستجيب .

٥- حبه ووفاؤه وعاطفته الفياضة :

وأما عاطفته الجياشة فلقد أفاضت من روحه على أسرته جميعـــا ، وتراه لهذا الوفاء لا يتزوج قبل محنته ليرعى الأسرة التي أصبح راعيهـــا بعد أبيه ، يقول الأستاذ محمد قطب عن أخيه سيد : (هو أبي وأخـــي وأستاذي وصديقي).

كان سنة (١٩٥٣م) في ضيافة المؤتمر الإسلامي في القدس ، وقد كان الإخوان آنذاك يشرفون عليه ، يقـــول فضـــيلة المراقـــب العـــام للإخوان في الأردن – الأستاذ محمد خليفة ـــ : كان الأســـتاذ ســـيد يطلب مني أن أطلب القاهرة –هذا من عمان– فأقول له: هل طـــرأت لك حاجة ؟.. فيقول : لا ، وإنما هو الشوق لسماع صـــوت الوالـــد المرشد العام الهضيبي ولو من خلال الهاتف .

وكثيرا ما كان يردد كلمة الوالد المرشد في التحقيق وفي المحكمة ، ولم يقتصر وفاء الأستاذ سيد على صلته بالبشر بل تعداه إلى علاقتـــه بكل ما حوله حتى للحيوانات ، فلقد ألف نزلاء ليمان طرة قطا أعور تتقزز الأبدان لرؤيته ، كان يأوي بالقرب من الأستاذ ســـيد قطـــب يخصص له قسما من طعامه وكان يقول : (ليس من الوفاء أن نجافيـــه ونضيعه في هرمه بعد طول صحبته لنا) وهو بوفائه يعيد إلى ذاكرتنـــا سيرة الرعيل الأول كأبي هريرة ويفتح أمام ناظرينا صورة زيـــد بـــن الدثنة وهو يقول : (والله لا أحب أن أكون سالما في أهلـــي ويصـــاب محمد صلى الله عليه وسلم شوكة في قدمه) وذلك وهو يرد علـــى أبي

سفيان عندما سأله : أتحب أن محمد مكانك نعلقه على خشبة الصلب والإعدام ، فقال أبو سفيان : "ما رأيت مثل حب أصـــحاب محمـــد محمدا" .

أقول : هذه النماذج التي أقفرت الأرض منها إلا القليـــل القليـــل والتي عقمت الدنيا أن تلد أمثالها ، عاد جنود البنا يجددون سيرة هـــذا النفر الكريم ، هؤلاء أحيوا الأمل في قلوب مئات الملايين وأثبتوا للدنيا أن الإسلام لا زال قادرا على صناعة الرجال.

يقول الأستاذ سيد قطب لشقيقته حميدة قبل إعدامه بيوم :

(إن رأيت الوالد المرشد فبلغيه عني السلام وقولي له : لقد تحمـــل سيد أقصى ما يتحمله البشر حتى لا تمس بأدنى سوء .

سيرة سيد قطب الحركية

دخل الأستاذ سيد دعوة الإخوان المسلمين سنة (١٩٥١م) وكان يعبر عن هذا بأعمق تعبير قائلا : ولدت سنة (١٩٥١م) ، وقد جـاء سيد على قدر ، ولكل أجل كتاب فلم يحفل سيد بالدعوة في بدايـة الأمر و لم يكن يعني نفسه للقاء بقائدها البنا الذي ضم الأفذاذ من أبناء مصر تحت جناحيه وبين صفوفه ، فكانت دعوته صفوة أبناء مصر.

وقد ابتدأ سيد قطب يتجه نحو الكتابة عن الإسـلام العـام، و لم يكن سيد بعد قد أدرك بعد أعماق هذا الدين ، و لم يسـبر أغـواره بمسبار ، وكتب كتاب العدالة الاجتماعية مستعرضا نظام الحكم والمال وتركه مع إهداء جميل : (إلى الذين كنت المحهم بعين الخيال قـادمين فرأيتهم بواقع الحياة قائمين يجاهدون بأموالهم وأنفسـهم في مسـتقبل قريب جد قريب) ، ثم عهد إلى أخيه محمد في مصر لطباعته ، وطبعـه الأستاذ محمد مع هذا الإهداء على حين كانت الحكومة قـد نكلـت بالإخوان وأودعتهم المعتقلات تمهيداً لاغتيال الإمام الشـهيد البنـا ، وظنت الحكومة أن سيد قطب هو أحد أعضاء الإخوان وأن الكتـاب مهدي إلى شباب الإخوان ، فصادرت الحكومة الكتاب و لم تسـمح بنشره إلا برفع الإهداء ، فرفع الإهداء .

ويحدث الأستاذ سيد عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا مبعوثـا من وزارة المعارف المصرية التي يستلم وزارتها طه حسين – أسـتاذه – فأرسل الأستاذ سيد للإطلاع على المناهج الأمريكية ، يقول الأسـتاذ

سيد : (كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك) ... (الظلال / عند تفسير **الآية ٣٧ من سورة يونس**) فهو يعتبر نفسه آنذاك منتسبا إلى الإسلام) .

ويشاء الله عز وجل أن يهديه سواء السبيل وأن يريه آياته ليجعله جنديا مخلصا في صف الدعوة الإسلامية ، وتحدث معه حادثتان تضطرانه للدخول تحت جناح الدعوة.

أما الحادثة الأولى : فقد حصلت في (١٣) شباط (١٩٤٩م) يقول فيها أنه كان مستلقيا فوق سريره في إحدى مستشفيات أمريكا ، فيرى معالم الزينة وأنوار الكهرباء الملونة وألوان الموسيقى الغربية والرقصات ، ما هذا العيد الذي أنتم فيه ؟ فقالوا : اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق ، اليوم قتل حسن البنا ، وقد كانت هذه الحادثة كفيلة أن تهزه من أعماقه ، حسن البنا !!.. يحتفل بمقتله في داخل أمريكا ، إذن لا بد أن يكون الرجل مخلصا وأن تكون دعوته خطيرة حقا ، ترجف لسماعها أوصال الغرب هلعا واضطرابا .

وأما الحادثة الثانية : فقد حصلت في بيت مدير المخابرات البريطاني في أمريكا ، إذ كانت السفارات الغربية تتسابق في رمي شباكها لاصطياد الطلاب الشرقيين وإيقاعهم بحبائلها ليكرسوا في محافلها المختلفة ، ويقسموا العهد على خدمتها وإنذار الحياة خالصة لخدمتها ، وأي صيد أثمن من الكاتب المعروف سيد ؟.. فدعاه مدير المخابرات البريطاني إلى بيته ، يقول الأستاذ سيد : (واستدعى انتباهي أمران : الأول : إن هذا البريطاني يسمى أبناءه بأسماء المسلمين ، محمد

وعلي وأحمد... ، والثاني وجدت لديه كتاب العدالة الاجتماعية ، وهو يعمل في ترجمته ، وهي النسخة الثانية في أمريكا إذ الأولى لدى وصلتني من أخي محمد قطب) .

وبدأ الحديث عن أحوال الشرق وما ينتظره من مستقبل وأحداث ويعرج على مصر ليستفيض في الحديث عنها وتأخذ جماعة الإخوان المسلمين القسط الوافر من الحديث ، ويعرض علي تقارير مفصلة عن نشاط الجماعة وعن تحركات البنا وخطبه منذ أن كانت الجماعة ستة في الإسماعيلية حتى سنة (١٩٤٩م) ، تفصيلات تؤكد أهم قد سخروا أجهزة وأموال تتبع نشاط الإخوان وحركاهم وسكناهم ورصدوا لذلك أموالا ورجالا خوفا من هذا الغول البشع – الإسلام – وعقب البريطاني قائلا : (إذا قدر ونجحت حركة الإخوان في استلام حكم مصر فلن تتقدم مصر أبدا ، وسيحولون بعقليتهم المتخلفة بين الحضارة الغربية ، وستقف عقلياهم المتحجرة دون تطور الشعب والأرض ، ثم قال : ونحن نأمل من الشباب المتعلمين أمثالك ألا يمكنوا هؤلاء من الوصول إلى سدة الحكم) .

يقول سيد : قلت في نفسي (الآن حصحص الحق) ، وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين ، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها ، فهذه أمريكا ترقص على جمجمة البنا وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراهما – حتى داخل أمريكا – لمحاربة الإخوان .

يقول سيد : فصممت في قرارة نفسي أن أدخل الإخوان وأنا لم أخرج بعد من بيت مدير المخابرات البريطاني .

وكانت يد الله تعد لتهيئة الأجواء حتى يدخل سيد قطب دعـــوة الإخوان ، فهناك في مصر وزع كتاب العدالة الاجتماعية والإخـــوان مودعون لدى معتقلات الطور وغيرها تحاربهم زبانية فاروق ، وإهداء الكتاب يوحي أنه مهدى إلى الإخوان ، فظنه الإخـــوان منـــهم وأن الإهداء موجه إليهم ، فأقبلوا على العدالة يتداولونها ويقرؤونها.

وهنا في أمريكا الحادثة تلو الحادثة تقنع سيدا بصدق دعوة الله .. ويترامى إلى مسامع الإخوان تاريخ مقدم سيد إلى مصر ، فتعد الدعوة كوكبة من شباب جماعة القاهرة لاستقباله في ميناء الإسكندرية مثـــل عبد العزيز سيسي رحمه الله.

فيعجب الأستاذ سيد بتربية الإخوان وأدبهم الجم وخلقهم الرفيع، وبمجرد أن وطأت قدماه أرض مصر اتصل بالأستاذ الهضيبي المرشـــد وعرض عليه أن يقبله جنديا في صف دعوة الإسلام ، فيرحـــب بـــه الأستاذ الهضيبي، ويبدأ الأستاذ سيد منذ تلك اللحظة جهـــاده المـــنظم المركز ، وقد كان صادقا منذ اللحظة الأولى ، وتعبيرا عـــن جـــده في الأمر قدم استقالته إلى وزارة المعارف وأعلن مفاصلته لطه حسين .

وقد سلمه الأستاذ الهضيبي بعد فترة رئاسة تحرير جريدة الإخوان المسلمون ، وكتب بها مقالات صدرت فيما بعد في كتاب أسمـــاه – دراسات إسلامية– ثم قامت الثورة سنة (١٩٥٢م) ، وكان للإخـــوان اليد الطولى في إنجاح الصورة وتهدئة الأوضاع ، إن الذي أجبر الملـــك فاروق على التوقيع على وثيقة التنازل هو الضابط عبد المـــنعم عبـــد

الرؤوف أحد أفراد الدعوة المخلصين في قصر المنتزه في الإسكندرية، ووزع الإخوان عشرة آلاف مسلح في القاهرة وحدها لحماية الثورة ، ولقد كتب فاروق في مذكراته : (إن الإخوان المسلمين هم الذين قلبوا عرشي) (وما كان ضباط الثورة إلا العوبة بأيديهم ، ولقد أراد الإخوان المسلمون ضربي في عرض البحر لولا أني أمرت ربان السفينة تغير اتجاهها) (أنظر فاروق بين القمة والحضيض) .

أقول بعد الثورة طلب مجلس الثورة من الأستاذ سيد أن يكون مستشارهم للشؤون الداخلية فقبل ، ولكن لم يستطع العمل معهم اكثر من ثلاثة أشهر ، وثلاثة أشهر أخرى على مضض وبفتور ثم تركهم لأن طبيعته لا تقبل الالتواء والتثني.

سجنه الطويل:

لقد بدأت سلسلة المحن تتوالى على الدعوة وعلى كبار رجالاتها ، والحق أن سيدا من بين النفر القليل الذين أعطوا الدعوة أوقاتهم وحياته ودماءهم وأموالهم ، ولم يروا من إقبال الدنيا على الدعوة شيئا، فقد أقبل عليها ودنياها في إدبار ، ورحم الله خباب بن الارت إذ يقول : (هاجرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله.. فمنا من مضى ، ولم يأكل من أجره في دنياه شيئا منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه) [رجال حول الرسول ص(٤٧)] .

وفي سنة (١٩٥٤م) وبعد تمثيل فصول مسرحية الرصاصات على الطاغوت عبد الناصر في ميدان المنشية في الإسكندرية ، بدأت اعتقالات الإخوان وغيبت السجون المظلمة وراء جدرالها آلاف الشباب ، ولم يكن سيد لينجو إذ كان رئيسا لقسم نشر الدعوة آنذاك وكان من المفروض أن يكون سابع السبعة الذين علقوا على الأعواد شنقا (وهم الشهداء :عبد القادر عودة ، محمد فرغلي ، يوسف طلعت ، إبراهيم الطيب ، هنداوي دوير ، محمود عبد اللطيف) .

إلا أن إرادة الله أخرت شهادته ليكتب الظلال والمعالم ، وخصائص التصور الإسلامي ، فلقد أصيب سيد قطب من جراء التعذيب الشديد بتريف في الرئة مما اضطرهم إلى نقله إلى المستشفى ونفذ الإعدام وهو في المستشفى ، وثارت ثائرة الشعوب المسلمة وعبرت عن سخطها بتظاهرات احتشدت أمام السفارات في الدول العربية والإسلامية ، وأحرقت بعض الأماكن والهال سيل البرقيات الساخطة من المسلمين في كل مكان ، تكيل اللعنات وتنذر بالثبور والويل للقتلة ومصاصي الدماء .

وصدر وعد من القصر الجمهوري ألا يحدث إعدام فيما بعد ، وجاءت محاكمة سيد قطب في الحلقة الثانية ، وكانت المحاكمة مفتوحة ويرأس محكمة الشعب فيها جمال سالم وحوله عضوان حسين الشافعي وأنور السادات ، ولقد أبدى سيد قطب جرأة نادرة أمام ما يسمون بالقضاة ، فلقد خلع قميصه أمام المحكمة وقال بسخرية : انظروا يا قضاة العدالة !! ثم قال نحن نريد أن نسأل ، آينا أحق

بالمحاكمة والسجن نحن أم انتم ؟.. إن لدينا وثـائق أنكـم عمـلاء للمخابرات الأمريكية ، وبدأ يسرد الوقائع والوثـائق الـتي تصـمهم بالخزي وتسمهم بالصلات المشبوهة بكافري – السـفير الأمريكـي آنذاك – مما اضطر جمال سالم أن يرفع الجلسة ويغلق المحاكمة .

وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وبعد فترة ولأسباب صحية خفف الحكم إلى خمسة عشر عاما .

وأودع سيد قطب ليمان طره (السجن الذي يضم المئـات مـن شباب الإخوان) ، ولقد شهد بأم عينيه مذبحة الإخوان في ليمان طـره عندما فتحت الحكومة الرشاشات على الإخوان حيث قتل من عنـبر واحد ، واحد وعشرون من شباب الإخـوان والتصـقت لحـومهم بالحائط ، ومن شاء الإستزادة فليقـرأ كتـاب (أقسـمت أن أروي لروكس معكرون) .

كان سيد قطب مصابا بالتهاب في الشعب الهوائية ، فوضـع في مصحة السجن (مستشفى صغير للسجن مـع المصـابين بـالأمراض الصدرية كالسل من المجرمين المسجونين ، واستأذن من إدارة السـجن أن يضع حواجز من القماش بينه وبين المرضى فـأذن لـه ، فوضـع حواجز من القماش المقوى فأصبح كأنه في غرفة مستقلة ، وألحق بـه داخل الحواجز القماشية محمد يوسف هواش ، وكانت هـذه جريمـة لهواش استحق عليها الإعدام سنة (١٩٦٦م) .

وبقي الأستاذ سيد صابرا محتسبا في سجنه يربي إخوانه من حوله بالصدق ويفيض عليهم من روحه المشرقة ، ويضمهم في حنايا قلبه الكبير ، وكان يرد على الذين يحاولونه المهادنة والإستسلام : (إن في صبرنا صبرا للكثيرين) وهي نفس كلمة الإمام أحمد بن حنبل .

وساءت حالته الصحية في السجن وأصيب بالذبحة الصدرية ، وأصبح جسده الناحل يحمل في طياته قائمة من الأمراض ، وهو مصر على البقاء في السجن وكانت الذبحة تصيبه مرتين في الأسبوع (الذبحة تشبه الجلطة) .

وقدم الأطباء المشرفون على صحته تقارير لعبد الناصر ونصحوه قائلين: إن كان يهمك ألا يموت هذا الرجل في السجن فأخرجه لأنه معرض للموت في كل لحظة ، وماطل عبد الناصر ، ولقد تدخل المرحوم أحمد أوبلو – رئيس وزراء نيجيريا الشمالية – الذي أسلم على يديه ستمائة ألف مسلم – لإخراجه من السجن أثناء مروره بالقاهرة قبل قتله بفترة وجيزة فكذبوا على أحمد أوبلو متظاهرين بإخراجه فنقلوه إلى مستشفى القصر العيني (جامعة القاهرة) ، وكانت حالته الصحية تستدعي هذا النقل ، لأن مصحة السجن لم تعد بعلاجاتها وأدواتها البسيطة لم تعد تكفي لعلاج أمراضه.

ومكث في القصر العيني ستة أشهر وأعيد إلى مصحة ليمان طرة، وفي نيسان سنة (١٩٦٤م) أقيمت الإحتفالات بمناسبة الإنتهاء من المرحلة الأولى للسد العالي ، واستضافت مصر خريشوف لمشاهدة

الاحتفالات ، وأخرج الشيوعيون من السجون تحية لخريشوف ، وكان عبد السلام عارف من بين الذين دعوا للمشاركة في الإحتفال ، وتلقى عبد السلام عارف برقية من مفتي العراق الشيخ أمجد الزهاوي يقول فيها : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، فاشفع بسيد) فتوسط عبد السلام لإخراجه فأخرج الأستاذ سيد من السجن في سنة (١٩٦٤م) ، ولقد عرض عليه عبد السلام أن يصحبه إلى العراق ويكون مستشاره ، ولكن الأستاذ سيد استماحه عذرا ، متعللا بصحته التي تشرف على الرحيل وتؤذن بالوداع ، ولكن السبب الحقيقي وراء اعتذاره هو الذي وضحه قائلا : (إننا بإسنادنا ولو بالآراء لوضع جاهلي ، فإننا نحكم بالإعدام على كل كتاباتنا ضد الطواغيت ، وتصبح كلمتنا حبرا على أوراق) .

والحقيقة أن عبد الناصر ما وافق على إخراجه إلا بعد تيقنه أن سيد قطب قد استهلك وأضحى حطام إنسان ليس لديه طاقة على حركة أو تجميع .

ولكن الروح هي التي تعمل ، فلقد كان الأستاذ سيد قد أعد مسودات المعالم وبدأ بمراجعتها ، ثم دفع بها إلى المطبعة ، وخرج المعالم لتنفذ الطبعة الأولى التي أصدرتها مكتبه وهبة في وقت جد قصير ، مما أدهش المخابرات المصرية ، وتحرك الشيوعيون الذين قرأوا كلمات المعالم كلمة كلمة ، وأيقنوا أن هذا سيعصف بتنظيمهم الذي تقوى في فترة غياب الشباب المسلم في غياهب السجون ، واجج الشيوعيون نار الحقد والبغضاء التي ما هدأ أوارها لحظة في قلب عبد الناصر .

جاء أحد الناس إلى الأستاذ محمد قطب وأخبره بأن الشيوعيين جاد ون في محاولة قتلك وقتل أخيك سيد قطب .

ويرى الأستاذ سيد في منامه أفعى حمراء تلتف حول عنقه فحدث بها جلساءه فقالوا أضغاث أحلام ، فقال: ولكني أظنها المشنقة التي يمسك بها الشيوعيون.

وحاولت الحكومة أولا أن تقضي على الظاهرين من الدعاة باغتيالات فردية ، وابتدأت المحاولة بالحاجة المجاهدة (زينب الغزالي) إذ داهمت سيارة كبيرة للمخابرات أو بإيعاز منها سيارتها وكسرت رجلها ، ومكثت على إثرها عاما كاملا في المستشفى ، وانتشر الخبر بأن المخابرات جاده في قتل سيد قطب ، وزينب الغزالي ، ومحمد قطب ، ومحمد هواش فنكلت المخابرات عن خطتها ، وأقبل صيف (١٩٦٥م) الذي يحمل بين جوانحه ما تخبؤه الأقدار للدعوة الإسلامية، من اعتقال وتشريد وإعدام بتنفيذ المخططات التي ترسم بروتوكولاتها في الكرملين والقصر الأبيض لتنفذ من خلال المخالب في المشرق .

واعتقل سيد قطب في (٢٦/آب/١٩٦٥م) وأودع السجن الحربي بعد أن انتقل من سجن إلى سجن وانتهى به المقام في الحربي ، وفي أوائل اعتقاله ألقي في زنزانة مظلمة بين أربعة كلاب بوليسية وظيفتها إرهاب السجناء بالإضافة إلى انتهاش لحومهم ، وتقطيعها فور تلقيها أية إشارة من الكلاب البشرية .

وأسندت تهمة الخيانة العظمى له بترأس تنظيم إرهابي يـــدعو إلى قلب نظام الحكم بالقوة ، وهذه حقيقة وكلمة حق أريد بها باطـــل ، فصاحب الحق يدعو لانتصار دينه وتطبيق الإسلام في كـــل مجـــالات الحياة ، ولا يهادن ولا يداهن ولايتنازل عن هذا الحق الذي يطالـــب به.

نعم لقد عهد إليه فضيلة المرشد بقيادة تنظـــيم ســـنة (١٩٦٢م) وأطاع الأمر إذ أنه يعرف معنى الطاعة في الإسلام ، وأن طاعة الأمـــير فريضة في الأعناق ، ومعصيته إثم يستحق صـــاحبه العقـــاب ، فقبـــل وأشرف على تربية أفراده بكتاباته وهو في داخل السجن ، ثم أشـــرف بنفسه ووهب التنظيم حياته ، وروحه ، ووقته ، وفكره ، هذا التنظيم الذي يشير إليه في مقدمة المعالم بأنه طليعة البعث الإســـلامي ، وهـــو يعتقد تماما أن صلاح البشرية وسعادتها وراحتها متوقفة علـــى نجـــاح الحركة الإسلامية كما يقول في مقدمة الظلال ص(١٥) : (وانتـــهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حازم ... أنه لا صلاح لهذه الأرض ، ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الإنســـان ولا رفعة ، ولا بركة ، ولا طهارة ، ولا تناسق مع سنن الكـــون وفطـــرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله ، والرجوع إلى الله – كما يتجلى في ظلال القرآن – له صورة واحدة ، وطريق واحد ... واحد لا سواه ... إنـــه العودة بالحياة كلها إلى هذا الكتاب) .

لقد كان وهو يستجيب لأمر المرشد بالإشراف على التنظيم ممـــن قال الله فيهم : ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَـــابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (آل عمران : ١٧٢)

وبقي التحقيق والتعذيب مستمرا عاما كــاملا مــن آب ســنة (١٩٦٥م) حتى آب سنة (١٩٦٦م) ، وإن كان القضاة ســلفا قــد ارتشفوا دمه ، وقد كان الجلادون حريصين ألا يموت ســيد قطــب ليبقى معذبا .. فكانوا يربطونه بالكرسي ويقولون : (نحن نعلم أنــك إذا عذبت ستموت ، ونحن لا نريد أن تموت فتستريح) .

ولقد بدأ الأستاذ سيد عملاقا إبان التحقيق والمحاكمات ، فكثيرا ما كان يسخر من الضباط الخائنين الذين انقلبوا بين عشية وضــحاها قضاة يحكمون في الدماء والأعراض.. كالدجوي الذي ترأس المحكمة ، وقد كان ممن وقع في الأسر سنة (١٩٥٦م) ، وقد كان يهاجم مصــر من خلال اذاعة إسرائيل ، وقد كان سيد بأسلوبه الــلاذع الســاخر يقابل الذئاب البشرية التي تمسك بخناق المسلمين ، وتتربع على عــرش مصر ، وتحكم بالحديد والنار ، وتجتث بما في أيديها من وسائل بقايــا الخلق والقيم من المجتمع ، وتحارب بأقلامها وأجهزتها كل فضيلة آدمية أو مبدأ رباني ، أو أرضي ، واستطاع سيد بصبره وترفعه وبصــيرته أن يبين سخافة هؤلاء الأمساخ والتف حوله الفئة المؤمنة التي اســتطاعت بطاعتها واحترامها له أن تقتل الجلادين غما وحقدا وغيظــا ، قــال أحد المحققين للحاجة زينب الغزالي – حفظها الله – : (إن سيد قطب كذب عليك وقال عنك..) فقالت : حاشا لله أن يكذب سيد .

وقالوا لشاب مؤمن : هل اتصلت بسيد قطب ؟.. فأنكر وأصــر على إنكاره رغم التعذيب ، فقالوا له : ولكن سيد قطب يقول: انــك قد اتصلت به ، فقال الشاب : إن كان قالها فقد صدق !! وهي نفس الكلمة التي قالها الصديق أبو بكر بصدد الإسراء والمعراج .

ولقد اهتز كيان الطاغوت عند رؤية هذه الفئات ، وصعقوا إذ أهم ظنوا أن قد قضى على الإسلام والجماعة المسلمة ، وإذا هم يفاجئون بنماذج أنقى ، وبفئات أصلب عودا وأشد في دين الله مما رأوا من ذي قبل ، وهم في هذه المرة من الشباب المتعلم المثقف بل معظمهم من الكليات العلمية ، والعملية كالطب والهندسة والعلوم والذرة ولهول الصدمة كانت ضرباتهم جنونية ، ولقد استشهد تحت التعذيب مائتان وثمانون شابا من هذه النماذج وكانت النازلة شديدة الوقع على الطاغوت ، وكاد يجن حقا ، وبدأ يصرخ في وجوه المخابرات صرخات محمومه جنونية (إزاي يسرقوا مني جيل الثورة ، قباني (بائع قطن وهو الشهيد عبد الفتاح إسماعيل) ، وامرأة يعني (زينب الغزالي) ، وأضطرب كيانه وساءت صحته ، وخارت قواه العقلية والعصبية مما اضطره أن يذهب إلى روسيا حيث الحمامات الساخنة والجلسات الكهربائية ، وبعد أن أمسك بأنفاسه في روسيا أعلن من فوق قبر لينين : (لقد اكتشفنا مؤامرة للإخوان المسلمين ، ولئن عفونا المرة الأولى ، فلن نعفو المرة الثانية) وأعطيت الأوامرالشديدة فكان التعذيب الرهيب الذي استمر قرابة عام أثناء التحقيق ، وهنالك علاوات الإجرام ، ويحضرني قصة كتبها أحمد رائف في البوابة السوداء يقول فيها :

(مات أحدنا لشدة التعذيب في الزنزانة وعندما فتح السجان باب الزنزانة صباحا قلنا : يا أفندم مات واحد فقال السجان : (يا أولاد الكلب بسى واحد مات ، حانودي وشنا فين من المسئول) .

تقول الحاجة زينب الغزالي : لقد ضربوني ستة آلاف وخمسمائة سوط وكانت غرف التعذيب ثلاثين غرفة تختلف أدوات التعذيب في كل واحدة عن الأخرى ، وكان لا بد أن يصدر حكم الإعدام على الأستاذ سيد ، وعلى تلميذه محمد يوسف هواش وعلى الشيخ عبدالفتاح إسماعيل ، قال سيد عند صدور الحكم : (الحمد لله لقد جاهدت مدة خمسة عشر عاما حتى نلت هذه الشهادة) ، وقال الشيخ عبد الفتاح : (فزت ورب الكعبة) .

ولقد ملك كل واحد منهما بصبره العجيب القلوب ، حتى قلوب جلاديه، فلقد كان ضباط الحربي يقولون للشيخ عبد الفتاح: والله ان هذه البلد لا تستحقك ، فأنت درة ضائعة في مصر.

جاءت الأرحام من آل قطب لزيارة سيد بعد صدور حكم الإعدام ، فطوقهم بذراعيه وقال: (لقد دعوت الله عزوجل أن ينفذ الحكم لتكون الشهادة ، دعوت الله أن يجعل هذه العائلة كلها شهداء، هل قبلتم ؟ قالوا : قبلنا ، ونفذ حكم الإعدام في سحر ليلة الإثنين (٢٩) آب (١٩٦٦م) ، وفاضت هذه الروح الكبيرة إلى بارئها بعد أن أدت دورها ، وقد تبدو هذه النتيجة في حساب الأرض أسيفة أليمة ، وقد يعدها البشر هزيمة مريرة ، لكن كما يقول هو في فصل (هذا هو الطريق) : وهو يتحدث عن أصحاب الأخدود ص (٥٣٢) من معالم في الطريق : (إن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة ، وانتصار العقيدة على الألم ، وانتصار الإيمان على الفتنة ... وفي هذا الحادث انتصرت الفئة المؤمنة انتصارا يشرف الجنس البشري كله ..

إن الناس جميعا يموتون ، وتختلف الأسباب ، ولكن النـــاس جميعـــا لا ينتصرون هذا الإنتصار ولا يرتفعون هذا الإرتفـــاع ، ولا يتحــررون هذه التحرر ، ولا ينطلقون هذا الإنطلاق إلى هذه الآفاق ، إنمـــا هـــو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده ، لتشارك النـــاس في المـــوت، وتنفرد دون الناس في المجد في الملأ الأعلى ، وفي دنيا الناس أيضـــا، إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال ، لقـــد كـــان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم ، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم ، وكم كانت البشرية كلها تخسر ؟.. كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير ؟.. معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغـــاة علـــى الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد) .

ولقد صدق الله فصدقه ، إذ كان يتمنى الشهادة صـــادقا – والله أعلم – فرزقه الله إياها : تقرأ له مقالا كتبه سنة (١٩٥٢م) في كتابـــه دراسات إسلامية ص (١٣٨) ، فكأنك تلمح من خلاله أنه يخط بالهام من الله نهايته إذ يقول : (إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها ، وتجمعها ، وتدفعها ، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنهـــا تقتات قلب إنسان حي .. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب انسان ، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصـــل بذلك النبع الإلهي الحي ، فقد ولدت ميته ، ولم تدفع بالبشرية شـــبرا واحدا إلى الإمام ، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميته ، والنـــاس لا يتبنون الأموات ، ويكتب عند آية :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١)

إن الدخول في الإسلام صفقة بين متابيعين .. الله سبحانه هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع ، فهي بيعة مع الله لايبقى بعدها للمؤمن من شيء في نفسه ، ولا في ماله يحتجزه دون الله -سبحانه- ودون الجهاد في سبيله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله لله ...

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن ... كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ، ومنذ كان دين الله.. إنها السنة الجارية التي لا تستقيم الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها ، بعونك اللهم فإن العقد رهيب.. وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهم (مسلمين) في مشارق الأرض ومغاربها ، قاعدون ، لا يجاهدون لتقرير الوهية الله في الأرض ، وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبية وخصائصها في حياة العباد ، ولا يقتلون ولا يقتلون ، ولا يجاهدون جهاد ما دون القتل والقتال (الظلال /١٧١٦:١١) .

مميزات سيد قطب

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة وجعلتها فذة مشرقة ، وعلى رأس هذه المميزات التي : ميزته وميزت كتاباته :

١ – نفاذ البصيرة وعمق النظر :

وذلك راجع أولا وقبل كل شئ إلى الإخلاص الذي تلمحه من خلال عباراته –كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا – ، والإخلاص يورث الفراسة "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" أخرجه البخاري في التاريخ والترمذي عن أبي سعيد الخدري وهو في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٢٧) .

وأما عمق النظر فهذا يدركه كل من قرأ (المستقبل لهذا الدين) الذي صدر في الوقت الذي خيم فيه الظلام على المنطقة ، ولم تعد ترى فيها بصيصا من نور في هذا الليل البهيم ، وكثيرا ما كان يردد: (ستهب في المرحلة القادمة على المنطقة رياح من الإسلام الأمريكي!؟) وقد كان !..

ولقد رأيت هذه الملامح على تفكير أخيه الأستاذ محمد قطب – حفظه الله – ، فكثيرا ما كان يحدث بأمور يتوقعها كنت أحسبها أيامها ضربا من الخيال أو إغراقا في الأوهام ، ثم رأيتها واضحة جلية في واقع الأرض ..

٢ – سعة الأفق :

وهذا راجع إلى عاملين :

أولهما : الإطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام .

ثانيهما : سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية .

أما اطلاعه على المخطط العالمي لضرب الإسلام ممثلا بالحركة الإسلامية ، فلقد كان مبعوثا لوزارة المعارف المصرية إلى أمريكا في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه حقيقة الإسلام بعد ، ولم يلتزم بعد بتعاليمه ، فيقول عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا : (كنت أحد ستة نفر من المنتسبين للإسلام في باخرة تشق عباب الأطلسي ميممة شطر أمريكا) وفي أمريكا جرت له حادثتان كانتا سببا لدخوله في الحركة الإسلامية (كما حدثني بذلك أحد أرحامه) :

أولهما : -كما يحدث هو- كنت في (١٣) شباط (١٩٤٩م) مستلقيا على أحد أسرة مستشفى في أمريكا فرأيت رقصا صاخبا وموسيقى وأنوارا ورأيت الإبتسامات تعلو الوجوه ، والفرح يغمر المستشفى فقلت : أي عيد هذا الذي تحتفلون به قالوا : اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق ، اليوم قتل حسن البنا .

قال : فهزتني هذه الكلمة من أعماقي .

ثانيهما : إن السفارات العالمية كانت تتسابق على اصطياد الشباب المسلم ، وسيد كصحفي معروف كان أحد هؤلاء الذين

تدور حولهم العيون ليكون صيدا سهلا وفريسة مستساغة لصـــائده ، فدعاه مدير الإستخبارات في السفارة البريطانية في واشنطن إلى بيته .

قال سيد : فعندما دخلت بيته كم أذهلني مفاجأة أني رأيت عنده كتاب (العدالة الاجتماعية) ، و لم يكن قد وصل أمريكـــا إلا نســـخة واحدة أرسلها لي أخي محمد ، إذ أنه قد أشرف على طباعة الكتـــاب في غيابي ، وبدأ الحديث عن الشرق ومصر وتوقعات المـــراقبين بـــأن الوريث للحكم الملكي القائم هو أحد اثنين : إما الشـــيوعيون وإمـــا الإخوان المسلمون ، والمرجح أنهم الإخوان ، ثم بدأ يفـــتح لي ملفـــا خاصا بالإخوان فيه من التفصيلات والجزئيات مما يدق على أبناء مصر أنفسهم حتى المختصين ، ثم قال: إذا وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم فإنها ستحرم مصر من ثمار الحضارة الغربية ، ثم قال أخيرا : نحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن يحولوا بين الإخوان وبين الوصول إلى الحكم ، لأن وصولهم هو نهاية مصر المؤسفة الأليمة !؟ قال ســـيد : وفي بيـــت مدير الإستخبارات البريطاني في واشنطن قـــررت أن أدخـــل جماعـــة الإخوان فور عودتي ، لأنه لا يمكن لجماعة تكيد لها الدوائر العالمية هذا الكيد أو تخطط ضدها هذا التخطيط إلا أن تكون الجماعة على الحق .

لقد دخل سيد جماعة الإخوان ، وقد عرف بنفسه الكيد الهائـــل ضد الإسلام والكراهية العميقة التي لايمكن للغرب أن يخفيها.

– وأما سعة ثقافته : فيقول عن نفسه (معالم في الطريـــق : ١٤٣) .. (إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين ســـنة كاملـــة ،

كان عمله الأول فيها هو القراءة والإطلاع في معظم حقـــول المعرفـــة الإنسانية ... ما هو من تخصصه وما هو من هواياتـــه .. ثم عـــاد إلى مصادر عقيدته وتصوره: فإذا هو يجد كل ما قرأه ضـــئيلا ضـــئيلا إلى جانب ذلك الرصيد الضخم – وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك – وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره ، فإنمـــا عـــرف الجاهلية على حقيقتها .. وعلى انحرافها وضـــآلتها وقزامتـــها وعلـــى جعجعتها وانتفاشها وعلم غرورها وادعاءها وعلم علم اليقين أنـــه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي) .

٣ – الجـــديـــــة :

لقد كان سيد جادا في جاهليته وإسلامه فلم يكـــن يهـــادن ولا يداهن ، لقد كان واضحا كالشمس في رابعة النهار مستقيما كحـــد السيف ، ومن هنا أخرج مجلة كان صاحب الإمتياز فيها المينـــاوي ، فخرج منها ثلاثة أعداد كلها صودرت ثم أغلقت ، ولقد أرسل الملك من يغتاله ولكن الله نجاه من اليد الأثيمة ..

لقد كان دائما يردد : (أنا لا أستطيع أن أعيش بنصـــف قلـــب نصفه لله ونصفه للدنيا) (نقلا عن الثقات) .

وكان يقول : إن اصبع السبابة الـــتي تشـــهد لله بالوحدانيـــة في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر به حكم طاغية ، حـــدثت شقيقته حميدة أثر خروجها من السجن – وأنا أسمع – قالت : جـــاءني

مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم (٢٨) أغسطس (١٩٦٦م) وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب ثم قال : إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشنقة ، وهي أن يعتذر على التلفاز فيخفف عنه حكم الإعدام ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي ، هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه .

قالت حميدة : فتوجهت إليه لأبلغه الخبر .

فقلت له : إنهم يقولون إن اعتذرت فسيعفون عنك .

فربت سيد على كتفي قائلا : عن أي شئ أعتذر يا حميدة !! عن العمل مع الله ؟! والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت ، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله .

ثم قال : اطمئني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام ولن يغني الإعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره.

أية طمأنينة ، وأية ثقة هذه التي يتمتع بها هذا القلب الكبير .. أية راحة وأية سكينة هذه التي يسكبها الله على الفؤاد وعلى النفس المؤمنة، ومن علامة جديته : أنه استقال من وزارة المعارف في اللحظة التي قرر فيها دخول الحركة الإسلامية .

٤ – الاحتياط والورع والهيبة أمام النصوص القرآنية :

ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله فيقـــول – في ظـــلال القرآن – عند آية : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَات والصَّلاَة الْوُسْـــطَى وَقُومُواْ للَّه قَانتينَ ﴾ (البقرة : ٢٣٨) (أشهد أني وقفتَ أمام هـــذه الآية ستةَ أشهرَ لا أنتقل إلى ما بعدها ، كيف جاءت آية الصلاة بـــين آيات الطلاق ، وكنت آمل أن يفتح الله علي في هذه الفترة ولكـــن لم يفتح الله علي ، فإن فتح الله على أحـــد مـــن القـــراء فليتفضـــل إلي مشكورا) .

ويقول في مقدمة سورة الرعد (الظلال : ٤/ ٢٠٣٨) .. (كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتـــهيب أن أمســـها بأســـلوبي البشري القاصر المتحرج أن أشوبها بأسلوبي البشري الفـــاني ، ولكـــن ماذا أصنع ونحن في جيل لا بد أن يقدم له القرآن مـــع الكـــثير مـــن الإيضاح. ومع هذا كله يصيبني رهبة ورعشة كلما تصديت للترجمـــة عن هذا القرآن) .

٥ – التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله :

لقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة ازاء تصفية الحركة الإسلامية جسديا سنة ١٩٥٤ ، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخـــوان في (الحلميـــة) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشـــرة ليلا وهي تكبر وتهتف ، ما بالها الآن بكماء عمياء صماء ؟.. بـــل إن قسما ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل الســـجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم .

لقد وقف طويلا أمام هذه الظاهرة وأخيرا وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله) .

حدثني أحد الإخوة قال : إن مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضرا تنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين! فعندما كان سيد يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة اقترب منه الشيخ قائلا : (قل لا إله إلا الله) فقال سيد : حتى أنت جئت تكمل المسرحية نحن يا أخي نعدم بسبب لا إله إلا الله ، وأنت تأكل الخبز بلا إله إلا الله .

وبعد هذا كله (بنو أسد تعزرني على الإسلام) كلمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالها عندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعدا حتى قالوا : إنه لا يحسن الصلاة ! يروي البخاري عن قيس قال : سمعت سعدا رضي الله عنه يقول : إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى أن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد (تعزرني على الإسلام) لقد خبت إذا وضل عملي) .

وما أشبه اليوم بالبارحة ، إن بعض الناس بدأوا يشككون في عقيدة سيد قطب ، حتى إنه ترامى إلى مسامعي أن باحثا يؤلف كتابا سماه (تنقية الظلال من الضلال!) ولقد بالغ بعض القوم حتى قالوا أن سيدا يقول (بوحدة الوجود) وكأنهم لم يقرأوا مئات المرات في الظلال التفريق بين الخالق والمخلوق .

والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم .

والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب ، وأني لأشعر بفضل الله العظيم علي إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب ، فقد وجهني سيد قطب فكريا وابن تيمية عقديا وابن القيم روحيا والنووي فقهيا، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثرا عميقا .

ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته ، ففي السنة التي استشهد فيها طبع الظلال سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته ، ولقد صدق عندما قال: (إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء).

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين عالي الهامة ، وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال ، بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلا ، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت ، الجاهلية ، الحاكمية ، العبودية ، الألوهية ، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء ، والتوحيد والتوكل على الله والخشية منه والإلتجاء إليه .

الفصل الثالث

شبهات وردود

سيد قطب وتفسير كلمة التوحيد

أول شبهه يرددها خصوم الشيخ سيد قطب رحمه الله أنه شذ في تفسيره لكلمة التوحيد " لا إله إلا الله " عن تفسير أهل العلم ، بل ويزعمون أن أبو جهل وأبولهب كانا أعلم منه بتفسير (لاإله إلا الله) !! لماذا ؟ لأن يسد قطب رحمه الله يقول : فلقد كانوا (أي : العرب) يعرفون من لغتهم معنى (إله) ومعنى (لا إله إلا الله)... كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا..." (الظلال : ٢/١٠٠٥)

وقال أيضاً: "(لا إلة إلا الله)؛ كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته : لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد؛ لأن السلطان كله لله..." (الظلال : ٢/١٠٠٦)

وقال أيضاً : إن الأمر المستيقن في هذا الدين : أنه لا يمكن أن يقوم في الضمير عقيدة، ولا في واقع الحياة ديناً؛ إلا أن يشهد الناس أن لا إله إلا الله؛ أي: لا حاكمية إلا لله، حاكمية تتمثل في قضائه وقدره كما تتمثل في شرعه وأمره" (العدالة الإجتماعية)

وماذا في هذا الكلام ؟ إنه في – زعمهم – شذوذ في تفسير كلمة التوحيد !! لماذا ؟ لأن (لا إله إلا الله) تعني "لا معبود بحق إلا الله" والعبادة في زعمهم لا علاقة لها بالتحاكم !! فالعبادة عندهم هي التذلل والخضوع والخشوع والخوف والتأله والخشية والرجاء، وكذا

السجود والركوع والطواف والذبح والتسبيح والتـهليل والتمجيـد والتحميد والتعظيم وفقط ! أما الحكم بما أنزل الله أو بغيره فلا علاقـة له بالعبادة ، فأنت إن سجدت لله وركعت لله فقد أديت ما عليك من عبادة فإن ذهبت بعد ذلك وتحاكمت للطاغوت فـلا غبـار علـي عبادتك لأن العبادة شئ والتحاكم لله أو لغيره شئ آخر !

أي أن الحاكمية التي هي إفراد الله تبارك بالإحتكام إليه وحـده وإلي كتابه وسنة نبيه صفة من صفات الله عز وجل ولا علاقـة لهـا بعبادة الله ولا بمفهوم (لا إله إلا الله) !

ولأن القول بأن الألوهية تعني الحاكمية لا يعرفه العرب ولا علماء اللغة ولا غيرهم، بل الإله عند العرب هو المعبود الذي يُتقـرَّب إليـه بالعبادة – بالمعني الذي أوضحناه – وليس معنـاه عنـدهم الـذي يُتحاكم إليه !

ولأن العرب لقد كان لهم سـادة وأمـراء وملـوك وحكـام يتحاكمون إليهم ولا يسمونهم آلهة وكانت لهم أوثان وأصنام يعبدونها ولا يسمونها حكاماً ولا عبادتها تحاكماً !!..

تلك شبهتهم وهذا زعمهم فدعنا أخي القارئ الكريم نناقش هذا الكلام ونلقي الضوء علي هذه الشبهة لنعلم المعني الحقيقـي لكلمـة التوحيد (لا إله إلا الله) وعلاقته بالتحاكم لله ولرسوله ليحي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

أولا : معني الحاكمية لغة وشرعا

إن كلمتي الحاكمية والحكم في اللغة يوديان نفس المعني وأصلهما اللغوي (ح . ك . م) والذي يأخذ في اللغة ثلاثة معاني هي :

١ – المنع للإصلاح ومنه : حكمت الدابة منعتها بالحكمة .
٢ – العلم والفقه والقضاء بالعدل.
٣ – الإحكام وهو الإتقان ومنه حكمت الشئ أي أتقنته .

أما الشرع فقد استعمل كلمة الحكم في تسعة معاني :

١– الحكم بمعنى التحليل والتحريم في أمر العبادة والدين ، قال تعالي : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ من دُونه إلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بهَا من سُلْطَان إن الْحُكْمُ إلاَّ للّه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إلاَّ إيَّاهُ ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:٤٠).

٢– الحكم بمعنى القضاء والقدر ، قال تعالي :

﴿ وَقَالَ يَا بَنيَّ لاَ تَدْخُلُواْ من بَاب وَاحد وَادْخُلُواْ منْ أَبْوَاب مُّتَفَرِّقَة وَمَا أُغْني عَنكُم مِّنَ اللّه من شَيْء إن الْحُكْمُ إلاَّ للّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْه فَلْيَتَوَكَّل الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (يوسف:٦٧) .

٣– الحكم بمعنى النبوة وسنة الأنبياء ، قال تعالي :

﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعلْماً وَنَجَّيْنَاهُ منَ الْقَرْيَة الَّتي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائثَ إنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْء فَاسقينَ ﴾ (الأنبياء:٧٤) .

٤- الحكم بمعنى القرآن وتفسيره ، قال تعالى :

﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:٢٦٩) .

٥- الحكم بمعنى الفهم والعلم والفقه ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩).

٦- الحكم بمعنى السياسة ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية: ١٦) .

٧- الحكم بمعنى القضاء والفصل في الخصومات والاختلاف بين الناس ، قال تعالى : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:٣) وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١٣) .

٨- الحكم بمعنى الإتقان والمنع من الفساد ، قال تعالي : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُولٍ وَلا نَبيٍّ إلا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنيَّته فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكمُ اللَّهُ آيَاته وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ (الحج:٥٢) .

٩- الحكم بمعنى الإنابة والوضوح ، قال تعالي :﴿ هُوَ الَّذيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكتَابَ منْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتَاب وَأُخَرُ مُتَشَابهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتغَاء الْفتْنَة وَابْتغَاء تَأْويله وَمَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللّهُ وَالرَّاسخُونَ في الْعلْم يَقُولُونَ آمَنَّا به كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُواْ الألْبَاب﴾ (آل عمران : ٧) .

والشيخ سيد قطب رحمه الله يذكر الحاكمية بمعنى التحليل والتحريم في أمر العبادة والدين وأيضا بمعنى القضاء والفصل في الخصومات والاختلاف بين الناس أي أن الحاكمية تعني إفراد الله تعالى وحده في الحكم والتشريع، فالله تعالى هو الحكَم العدل، له الحكم والأمر، لا شريك له في حكمه وتشريعه .. فكما أن الله تعالى لا شريك له في الملك وفي تدبير شؤون الخلق كذلك لا شريك له في الحكم والتشريع كما قال تعالى: ﴿ إنِ الْحُكْمُ إلاَّ للّه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إلاَّ إيَّاهُ ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لحُكْمه ﴾ (الرعد : ٤١)،

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة :١) وقال تعالى: ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾ (الكهف : ٢٦) ، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥٠) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (الشوري :١٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢١) وغيرها كثير من الآيات البينات المحكمات التي أشارت إلى هذا الأمر، والذي لا يصح إيمان المرء إلا به ..

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحكمُ " .

أما من الناحية التاريخية فلقد رفع الخوارج شعار "إن الحكم إلا لله" فلم ينكر عليهم الإمام علي رضي الله عنه ولا أحد من الصحابة ذلك بل أنكروا عليهم الخطأ في تطبيقه فهو مفهوم يعرفه المسلمون منذ بزوغ شمس الإسلام لأول مرة .

فليس مفهوم الحاكمية من إختراع الشيخ سيد قطب ولا هو ورثه عن الشيخ المودودي رحمهما الله بل هو من المفاهيم الأصولية الشرعية التي إمتلأت بها آيات القرآن وأحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم .

والحاكمية داخلة في معني (لا إله إلا الله) بمعني (لا معبود بحق إلا الله) ولكن لما كثر في الأمة المسلمة الحكم بغير بما أنـــزل الله،.. حرص الشيخ رحمه الله علي إبراز معناها وإفرادها بالذكر للفت نظـــر الناس إلى أهميتها، وأنهم من دونها يكونون قد أخطأوا في فهم مـــدلول (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله بالركوع والسجود كمـــا بالطاعة والتحاكم إلي شرعه .

وليس في ذلك إنكار لصنوف العبادة الأخري ولكنه مـــن بـــاب التركيز علي معنا معينا لإبرازه كما قال صلي الله عليه وسلم : "الحج عرفة" وليس في ذلك إنكار للطواف والسعي وكما قال أيضا صـــلي الله عليه وسلم : "الدين النصيحة" وليس في ذلك إهمال لمكانة الصلاة والزكاة وسائر العبادات .

ثانيا معني كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لغة وشرعا :

إن معني لا إله إلا الله عند جميع علماء الأمة من السلف والخلف هو : لا معبود بحق إلا الله وهذا ما يقر به خصوم سيد قطب رحمه الله فما معني معبود ؟

" إن كلمة العبودية تقابلها الربوبية والمعبود هو الـــرب الإلـــه .
وكلمة الرب في اللغة تأتي من معانيها :
رب الولد ورب الضيعة : إذا رباه وأصلح شـــأنه أو تعاهـــدها وأصلح أمرها .

رب فلان قومه وربيب القوم : إذا حكمهم وساسهم فانقـــادوا إليه واجتمعوا عليه ومنه فلان يرب الناس أي يجمعهم .

رب الدار ورب الإبل : أي صاحبها ومالكها .

ولما كانت القاعدة في اللغة العربيـــة أن الكلمـــات ذات المـــادة الواحدة يكون بينها ترابط ويلاحظ الترابط في المعاني الثلاث الســـابقة فالمالك يسوس ويتعهد ويصلح ويربي والمربي له سلطان وسيطرة ونوع ملك .

وبالنسبة للذات الإلهيه فالله هو المالك لكل شئ على الحقيقة وهو السيد والحاكم فليس لغيره سيادة ولا حاكمية وهو خلق وربي وأصلح سأن الكون ويرعاه .

وقد ذكر القرآن هذه الخصائص كلها لله تعالى فقال :

﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ (**الأعراف :٥٤**)

وقال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ** ﴾ (**الأنعام : ٥٧**)

وقال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (**الفاتحة :١**) .

وعلى ذلك فمن قال لا إله إلا الله فكأنه قال : لا مطمأن إليه ولا مستجار به ولا محبوب ولا مالك ولا مطاع ولا معظم ولا معتصم به ولا سيد ولا حاكم إلي غير ذلك من معاني العبودية إلا الله ســـبحانه وتعالي . فهو وحده الذي له حق السيادة المطلقة على الخلق والحاكمية

المطلقة عليهم وهو وحده صاحب الحق في الأمر والنـــهي والتحليـــل والتحريم سبحانه وتعالي لا إله غيره ولا معبود بحق سواه " .....

(الاسلام – سعيد حوي) .

أما المعني الشرعي لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فيوضحه لنـــا تفسير رسول الله صلي الله عليه وسلم لمعني العبادة فيما يرويه الإمـــام أحمد والترمذي وابن جرير – من طرق – عن عدى بن حاتم – رضى الله عنه – أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وســـلم فـــر إلى الشام . وكان قد تنصر في الجاهلية . فأسرت أخته وجماعة من قومه . ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها . فرجعـــت إلى أخيها فرغبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول صلى الله عليـــه وسلم فقدم عدى إلى المدينة – وكان رئيساً في قومه طى – فتحـــدث الناس بقدومه .. فدخل على رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم وفي عنقه (أى عدى) صليب من فضة .. وهو (أى النبي صلى الله عليه وسلم) يقرأ هذه الآية : ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابــاً مِّـــن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـــهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ **(التوبة : ٣١)** قال : فقلـــت إنهم لم يعبدوهم .. فقال : بلى ! لأنهم حرموا عليهم الحلال ، واحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم . فذلك عبادتهم إياهم ..

فهكذا كان التصور القاصر للعبادة عند عدى بن حاتم — رضى الله عنه — قبل إسلامه : أنهم ما عبدوهم بمعني أنهم ما سجدوا لهم وما ركعوا لهم ... إلي غير ذلك من صور العبادة التي كان يفهمها العربي في الجاهلية وكما يتصورها الناقدون لسيد قطب رحمه الله اليوم فصحح له النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم حرموا عليهم الحلال، واحلوا لهم الحرام : أي شرعوا لهم ما لم يأذن به الله ، فاتبعوهم : أي في تشريعهم المخالف لشريعة الله .

ويعلق الشيخ رحمه الله علي هذه الآية فيقول : " فأهل الكتاب الذين تتحدث عنهم هذه الآية ، اتخذوا المسيح ابن مريم — رباً بمعنى ربوبية العبادة والشعائر .. واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً — لا بهذا المعنى ولكن بمعنى التلقى عنهم في الشرائع والأوامر — ولكن الآية جمعت بين اتخاذهم المسيح رباً واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً . وقررت أن هذا كله مخالف لما أمروا به من عبادة إله واحد . ودمغتهم بالشرك بسبب اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً للتشريع .. ولهذا دلالته التي لا تقبل الجدال . ثم جاء تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للآية قاطعاً في هذا الاعتبار وفوق كل جدال " . (خصائص التصور الإسلامي)

وصدق رحمه الله فإن تفسير رسول الله صلي الله عليه وسلم لمعني العبادة في الآية بالتشريع كان من المفترض أن يكون قاطعا عند المفترض أن يكونوا من أهل العلم .

وحول نفس الآية يقول ابن حزم رحمه الله :

(لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ، ويحلون ما أحلوا ، كانت هذه ربوبية صحيحة ، وعبادة صحيحة ، قد دانوا بها ، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف) .

ويقول ابن تيمية – في هذا الشأن – : قد قال تعالى :

﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (**التوبة : ٣١**) . وفي حديث عدي بن حاتم – وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما – وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني ، فسمعه يقرأ هذه الآية ، قال : فقلت له : (إنا لسنا نعبدهم ، قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم) ، وكذلك قال أبو البختري : أما إنهم لم يصلوا لهم ، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الأمة حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية...

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، لا أنهم صلوا لهم ، وصاموا لهم ، ودعوهم من دون الله ، فهذه عبادة الرجال ، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١) كما أن حقيقة الرضا بالله ربا توجب إفراد الله تعالى بالحكم، واختصاصه تعالى بالخلق لأمر، حيث قال سبحانه : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥٤) ، فالأمر كله لله تعالى وحده ، سواء كان. هذا الأمر أمرا كونيا قدريا ، أو شرعيا دينيا) . (الفتاوي : ٦٧/٧)

ثالثا تفسير سيد قطب لكلمة التوحيد (لا إلـه إلا الله) بـالمعني الشامل في مواضع كثيرة من كتبه:

ثم أن الشيخ رحمه الله لم يغفل المعاني الأخري للعبادة عند كلامه عن (لا إله إلا الله) في مواضع كثيرة من كتبه فيقول رحمـه الله في المعالم : والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام- على مدار التاريخ البشري- هي قاعدة: "شـهادة أن لا الـه إلا الله" أي أفـراد الله- سبحانه- بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية.. إفراده بها اعتقادٌ في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة. فشهادة أن لا اله إلا الله،لا توجد فعلاً، ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هـذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليـه اعتبـار قائلها مسلماً او غير مسلم.

ويقول في خصائص التصور الإسلامي : وكما أن المسلم يعتقد أن لا إله إلا الله ، وان لا معبود إلا الله ، وان لا خالق إلا الله ، وان لا رازق إلا الله ، وان لا نافع أو ضار إلا الله ، وان لا متصرف في شأنه – وفي شأن الكون كله – إلا الله .. فيتوجه لله وحده بالشعائر التعبدية ، ويتوجه لله وحده بالطلب والرجاء ، ويتوجه لله وحده بالخشية والتقوى ..

كذلك يعتقد المسلم أن لا حاكم إلا الله ، وان لا مشرع إلا الله، وان لا منظم لحياة البشر وعلاقاتهم وارتباطاتهم بالكون وبالأحياء وببني الإنسان من جنسه إلا الله .. فيلتقى من الله وحده التوجيه والتشريع ، ومنهج الحياة ، ونظام المعيشة ، وقواعد الارتباطات ، وميزان القيم والاعتبارات .. سواء..

فالتوجه إلى الله وحده بالشعائر التعبدية ، والطلب والرجاء والخشية والتقوى ، كالتلقى من الله وحده في التشريع والتوجيه ، ومنهج الحياة ونظام المعيشة ، وقواعد الارتباطات وميزان القيم والاعتبارات .. كلاهما من مقتضيات التوحيد – كما هو في التصور الإسلامي – وكلاهما يصور المساحة التي تشملها حقيقة التوحيد في ضمير المسلم وفي حياته على السواء ..

ونلاحظ أنه رحمه الله قد قاس مسألة الحاكمية على الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وغيرها في أنهم جميعا لا يجوز صرفهم إلا لله وهو المعني الشامل لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .

رابعا الحكم بما أنزل الله تعالى في أقوال العلماء :

فرض الله تعالى الحكم بشريعته ، وأوجب ذلك علـى عبـاده ، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب. فقال سبحانه : ﴿ وَأَنـزَلَ مَعَهُـمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ (البقرة:٢١٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ ﴾ (النساء :١٠٥) .

وبين سبحانه اختصاصه وتفرده بالحكم ، فقـال تعـالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٧) وقال سبحانه : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ ﴾ (يوسف :٤٠) ، وقال عز وجل: ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص :٧٠) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى :١٠)

وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة على أن الحكم بما أنزل الله مـن صفات المؤمنين ، وأن التحاكم إلى غير ما أنزل الله -وهـو حكـم الطاغوت والجاهلية- من صفات المنافقين.

قال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَـا ثُـمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُـوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّـنْهُم مُّعْرِضُـونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّـالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٤٧-٥١) .

ولذلك اتفقت كلمة العلماء على الربط بين الإيمان بلا إله إلا الله وبين التحاكم إلى شرع الله سبحانه وتعالى فهذا ابن تيمية يقـــول في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّـــهَ وَأَطِيعُـــواْ الرَّسُـــولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُـــولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّـــهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ (النساء ٥٩- ٦٢) : (ذم الله عـــز وجل المدعين الإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كمـــا يصيب ذلك كثيرا ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم ، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك* وغيرهم، وإذا قيل لهـــم تعـــالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضـــا ، وإذا أصـــابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشـــبهات والشـــهوات ، أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم، قالوا إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق ، ونوفق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هـــي في الحقيقة ظنون وشبهات) . (الفتاوي : ١٢/٣٣٩-٣٤٠)

---

*. يقصد التتر

ويقول أيضا : (ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصـــول دينـــهم وفروعه ، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجـــدوا في أنفســـهم حرجا مما حكم ويسلموا تسليما) . (الفتاوي : ٧/٣٧-٣٨)

ويقول محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً** ﴾ (**النساء : ٦١**) : (والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمدا ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقا لا يعمل بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام) .. (تفسير المنار : ٥/٢٢٧)

ويقول ابن تيمية موضحا أن إفراد الله تعالى بـــالحكم والانقيـــاد لشرعه هو حقيقة الإسلام : (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحـــده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومـــن لم يستســـلم لـــه كـــان مستكبرا عن عبادته ، والمشرك به والمستكبر عـــن عبادتـــه كـــافر ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده ، وطاعته دونه) .... (الفتاوي : ٣/ ٩١)

ويقول ابن القيم حول نفس المعني : (وأما الرضا بدينه، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى ، رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليما ، ولو كان مخالفا لمراد نفسه ، أو هـــواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته) . (مدارج السالكين : ٢/ ١١٨)

ويقول الشنقيطي رحمه الله عن من أشرك مع الله في حكمه أحدا: (الإشراك بالله في حكمه ، والإشراك في عبادته كلها بمعنى واحد ، لا فرق بينهما البتة ، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله ، وتشريعا غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، وكلاهما مشرك بالله) .

(أضواء البيان : ٧/١٦٢)

ويقول أيضا: (ويفهم من هذه الآية ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** ﴾ (**الكهف : ٢٦**) أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله ، وهذا المفهوم جاء مبينا في آيات أخر ، كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ (**الأنعام : ١٢١**) فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم ، وهذا الإشراك في الطاعة ، واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى ، هو المراد بعبارة الشيطان في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (**يس : ٦٠**) ، وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم : ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً** ﴾ (**مريم : ٤٤**) . (أضواء البيان : ٤/ ٨٣)

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في بيان معنى الشرك في الربوبية : (هو إسناد الخلق والتدبير إلى غير الله تعالى معه ، أو أن

تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غــيره ، أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عن رسله . (تفسير المنار : ٢/ ٥٥)

ويقول العز بن عبد السلام : (وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصــه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي ، فما مــن خير إلا هو جالبه ، وما من ضير إلا هو سالبه.. وكذلك لا حكم إلا له) . (قواعد الأحكام: ٢/ ١٣٤ – ١٣٥)

ويقول عبد الرحمن السعدي : (فإن الرب ، والإله هو الذي لــه الحكم القدري ، والحكم الشرعي ، والحكم الجزائي ، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له ، ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصــى بحيــث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته . (القول السديد / ١٠٢)

وقد بين الله تعالى – في آيات كثيرة – صفات من يســتحق أن يكون الحكم له.. ويقول الشنقيطي مبينا ذلــك : (فمــن الآيــات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشــريع ، قولــه تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ ، ثم قال مبينا صفات من له الحكم : ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (**الشورى ١٠: ١٢**) .

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية ، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور ، ويتوكل عليه ، وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعهما ، على غير مثال سابق ، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجا..؟ فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم ، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حقير جاهل.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** ﴾ (**الكهف: ٢٦**)، فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه ؟.. تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومنها قوله تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴾ (**الأنعام :٥٧**) ، فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق ، وأنه خير الفاصلين ؟..

ومنها قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ** ﴾ (**يونس : ٥٩**) ، فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق ، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه ، لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي

له التصرف فيه بالتحليل والتحريم ؟.. سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم) . (أضـــواء البيـــان : ١٦٨/٧- ١٧٣ بإختصار)

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُــونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ (**النساء :٦٥**) : (يقسم تعالى بنفســه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صــلى الله عليــه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا) . (تفسير ابن كثير: ٣/ ٢١١)

ويقول ابن القيم عن هذه الآية أيضا : (أقسم ســبحانه بنفســه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكمــوا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع ، وأحكام الشرع وأحكام المعاد ، و لم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفــي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر ، وتنشرح صــدورهم لحكمــه كــل الانشراح ، وتقبله كل القبول ، و لم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعــة وانتفــاء المعارضة والاعتراض . (البيان في أقسام القرآن / ٢٧٠)

ويوضح ابن القيم أن الحكم بما أنزل الله هو تحقيق للرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا فيقول :

(وأما الرضى بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة ، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه ، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه) . (مدارج السالكين : ٢/ ١٧٢- ١٧٣)

ويشرح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله معنى شهادة أن محمدا رسول الله فيقول : (ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى وزجر ، وأن لا يعبد إلا بما شرع) . (مجموعة رسائل محمد بن عبد الوهاب: ١/ ١٩٠)

ولذا يقرر الشيخ محمد بن إبراهيم أن تحكيم شرع الله تعالى وحده هو معنى شهادة أن محمدا رسول الله بقوله : (وتحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه ، إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له ، وأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتبع المحكم ما جاء به فقط، ولا جردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلا وتركا وتحكيما عند النزاع) . (فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم : ١٢/ ٢٥١)

ويقول ابن حزم حول قوله تعالى ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (النساء :٦٥) : (فسمى الله تعالى تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم إيمانا ، وأخبر الله تعالى أنه لا إيمان إلا ذلك ، مع أنه لا يوجد في الصدر حرج مما قضى ، فصح يقينا أن الإيمان عمل وعقد وقول ؛ لأن التحكيم عمل ، ولا يكون إلا مع القول ، ومع عدم الحرج في الصدر وهو عقد) . (الدرة / ٢٣٨)

ويقول ابن تيمية : (فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته ، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة ، أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه) ..
(الفتاوي: ٢٨/ ٤٧١)

ويقول ابن القيم رحمه الله عن قوله تعالى ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:٥٩) : إن قوله ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين : دقه وجله ، جليه وخفيه ، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله وبيان حكم ما تنازعوا فيه ، ولم يكن كافيا لم يأمر بالرد إليه ، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع. ومنها أن جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه ،

فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين ، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر ، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم ، وأن عاقبته أحسن عاقبة) ... (اعلام الموقعين ١/٤٩ — ٥٠)

ويقول ابن كثير : (فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله ، وشهد له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (النساء : ٥٩) أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك ، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر) . (تفسير بن كثير: ٣/ ٢٠٩)

ويقول الشيخ السعدي في هذا الصدد: (الرد إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان. فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة ، بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (النساء :٦٠) ، فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه ، في كل أمر من الأمور ، فمن زعم أنه مؤمن ، واختار حكم الطاغوت على حكم الله ، فهو كاذب في ذلك..) ... (تفسير السعدي : ٢/ ٩٠ بإختصار)

ومما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم في هذا المقام قوله : (إن قولــه تعالى : "**يزعمون**" تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان ، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الإيمــان في قلب عبد أصلا ، بل أحدهما ينافي الآخر ، والطاغوت مشــتق مــن الطغيان وهو مجاوزة الحد ، فكل من حكم بغير ما جاء بــه الرســول صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليــه) . (رســالة تحكيم القوانين)

ويقول محمد بن نصر المروزي في تعريف الإيمان موضحا أهميــة الانقياد والإتباع في تحقيق الإيمان : (الإيمــان بــالله : أن توحــده ، وتصدق به بالقلب واللسان ، وتخضع له ، ولأمره ، بإعطــاء العــزم للأداء لما أمره ، مجانبا للاستنكاف ، والاستكبار ، والمعانــدة ، فــإذا فعلت ذلك لزمت محابه ، واجتنبــت مســاخطه) – إلى أن قــال – (وإيمانك بمحمد صلى الله عليه وسلم إقرارك به ، وتصديقك إيــاه ، واتباعك ما جاء به ، فإذا اتبعت ما جاء بــه ، أديــت الفــرائض ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحــرام ، ووقفــت عنــد الشــبهات ، وسارعت في الخيرات) .

ولا شك أن تحكيم الشريعة انقياد وخضوع لدين الله تعالى ، وإذا كان كذلك فإن عدم تحكيم هذه الشريعة كفر إباء ورد امتناع ، وإن كان مصدقا بها ، فالكفر لا يختص بالتكذيب فحسب كمــا تــزعم المرجئة .

يقول ابن تيمية : (فمن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه ، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ، ولا يصوم من رمضان ، ولا يؤدي لله زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة ، لا مع إيمان صحيح ، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار ، كقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ (**القلم: ٤٢ : ٤٣**) .. (الفتاوي ٧/ ٦١١)

ويقول ابن عبد البر: (قد أجمع العلماء أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر) . (التمهيد : ٤/ ٢٢٦)

وبهذا يتضح لنا أن إدخال الحكم بما أنزل الله عز وجل ضمن مفهوم (لا إله إلا الله) هو أمر أجمع عليه علماء الأمة سلفا وخلفا .

سيد قطب وصفات الله عز وجل

الشبهة الثانية لخصوم سيد قطب رحمه الله أنه من معطلة صفات الله عزوجل، ولا يمت لأهل السنة المثبتين بأي صلة في هذا الباب وأنه يستعمل الألفاظ الفضفاضة في القضايا التي يخالف فيها أهل السنة حتى لا تتوجه إليه سهام النقد وأنه رحمه الله عطل صفة الأستواء لله سبحانه على عرشه، فقال عند قوله تعالى ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ (**طه :٥**) (الاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة) وعطل صفة مجيئة سبحانه يوم القيامة فقال عند قوله تعالى ﴿**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ**﴾ (**الفجر : ٢٢**) (فأما مجيء ربك والملائكة صفاً صفاً، فهي أمر غيبي) إلى أن قال: (فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب الله المكنون) فأنكر الحقيقة والكيفية وهذا مذهب المفوضة، أما أهل السنة فهم يثبتون الحقيقة ويكلون علم الكيفية إلى الله سبحانه. وأنكر العرش وأنكر حمل الملائكة له : فقال عند قوله سبحانه ﴿ **وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ (**الحاقة ١٣ : ١٧**) قال : (ونحن لا ندري على وجه التحقيق ما السماء المقصودة بهذا اللفظ في القرآن ... والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها، والعرش يحمله ثمانية، ثمانية أملاك أو ثمانية صفوف أو ثمانية طبقات من طبقاتهم أو

ثمانية مما يعلم الله .. لا ندري نحن من هم ولا ماهم ، كما لا نـــدري نحن ما العرش ولا كيف يحمل .. وأخذ الكتاب باليمين وبالشـــمال ومن وراء الظهر قد يكون حقيقة مادياً وقد يكون تمثالاً لغوياً جاريـــاً على اصطلاح اللغة العربية). وإن كلام سيد هو كلام أهل التفويض، الذين لا يثبتون معنى الصفة ولا كيفيتـــها، وأن ســـيداً ينكـــر أن الله يتكلم، وأنه يقول بخلق القرآن . وأنه يسلك في إثبات الميزان مـــذهب المفوضة .

هذه هي خلاصة ما يقوله خصوم سيد قطب رحمـــه الله حـــول عقيدة سيد قطب في الأسماء والصفات وبناؤ علي ذلك يـــذهبون إلي تضليله والقول بفساد عقيدته بل ويصل الـــبعض منـــهم إلي القـــول بتكفيره .

فما حقيقة الأمر وما حقيقة عقيدة الشيخ رحمـــه الله في الأسمـــاء والصفات ؟..

في الحقيقة فإن للشيخ رحمه الله موقفا صـــريحا في ذم التأويـــل في الصفات وغيرها من آيات الله عز وجل فيقول رحمه الله : "إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره ، وفي التصور الإسلامي وتكوينـــه . . أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق ، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة ، وأن يبني مقرراته كلها

حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود . ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن . ولا ينفي شيئا يثبته القرآن ولا يؤوله ! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله . وما عدا المثبت والمنفي في القرآن ، فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته . . "

.... (الظلال : ٣٧٣١/٦)

وقال أيضا عند تفسير آية الميثاق في سورة الاعراف :

أن كيفيات فعل الله – سبحانه – غيب كذاته . ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كيفيات أفعال الله ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله . إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية . وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذي يحكيه قوله هذا كقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت : ١١) ، وقوله تعالى : **﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾** ، وقوله تعالى : **﴿ يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد : ٣٩)،** وقوله تعالى : **﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر : ٦٧)،** وقوله تعالى : **﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ (الفجر : ٢٢)،** وقوله تعالى: **﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (المجادلة : ٧)** إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله سبحانه ، لا مناص من التسليم بوقوعه ، دون محاولة إدراك كيفيته .. إذ أن تصور

الكيفية فرع عن تصور الماهية كما قلنا .. والله ليس كمثله شيء . فلا سبيل إلى إدراك ذاته ولا إلى إدراك كيفيات أفعاله . إذ أنه . لا سبيل إلى تشبيه فعله بفعل أي شيء ، ما دام أن ليس كمثله شيء .. وكل محاولة لتصور كيفيات أفعاله على مثال كيفيات أفعال خلقه ، هي محاولة مضللة ، لاختلاف ماهيته – سبحانه – عن ماهيات خلقه . وما يترتب على هذا من اختلاف كيفيات أفعاله عن كيفيات أفعال خلقه .. وكذلك جهل وضل كل من حاولوا – من الفلاسفة والمتكلمين – وصف كيفيات أفعال الله ، وخلطوا خلطاً شديداً ! "

بل أكثر من ذلك فقد انتقد سيد قطب رحمه الله الاسباب التي جعلت المعتزلة يصلون الى تعطيل صفات الله فيقول "إنما تابع المعتزلة منطق ارسطو الذهني وتجريدات افلوطين الموهمة و لم يتابعوا المنهج القراني وهو المنهج الاصيل".

وانتقدهم أيضا في قولهم بخلق القران قائلا "وكذالك فعلوا فيما عرف في التاريخ الاسلامي بعنوان"فتنة خلق القران" لئلا يكون القران قديما فيتعدد القدماء والبحث على هذا النحو بجملته غريب على الفكر الاسلامي فالقران وحي الله وكلامه .

ثم يقرر سيد قطب عقيدة أهل السنة والجماعة قائلا "إن لله – سبحانه – صفاته او اسماءه الحسنى ولكن البشر لا يملكون ادراك

"كيفية هذه الصفات" فهو سبحانه سميع يسمع بصير يرى عليم يعلـــم .. لكن البشر لا يدركون كيفية شيء من ذلك بالقياس اليه ســـبحانه .فالله ليس كمثله شيء فلا يدرك البشر اذن صفاته ولا كيفيات افعاله ..." مقومات التصور الاسلامي / الطبعة الخامســـة : ٢٧٨ -٢٧٩ وانظر كذلك ص٤٦ وما بعدها.

وقال في مقومات التصور الاسلامي : "إن لله-سبحانه-صفاته او أسماءه الحسنى ولكن البشر لا يملكون ادراك "كيفية هذه الصفات" فهو سبحانه سميع يسمع بصير يرى عليم يعلم ..لكن البشر لا يـــدركون كيفية شيء من ذلك بالقياس اليه سبحانه .فالله ليس كمثله شيء فلا يدرك البشر اذن صفاته ولا كيفيات افعاله ... "

ما وقف أمامه خصوم سيد قطب رحمه الله :

أما ما وقف أمامه خصوم سيد قطب رحمه الله فهو من باب تفسر الأيات لا تأويل الصفات وذلك أن عقيدة السلف الصالح في ما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية من صفات لله عز وجل الإيمان بهذه الصفات كما وردت ، وترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب... الخ ، وكل ذلك بمعانٍ لا ندركها ، ويتركون لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها .

نعم هذا منهجهم في الصفات ولكن ما هو منهجهم في تفسير الآيات والأحاديث التي وردت فيها هذه الصفات ؟ هل يتركوها بغير تفسير ؟ أم تبحثون عن معني الآية مما يوافق لغة القرآن ولا يخالف عقيدة الإسلام ؟ الحقيقة أن منهج السلف في ذلك هو تفسير الصفة بحسب ما يقتضيه معني الآية فمثلا :

قوله تعالي : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ **(الفتح:١٠)** . مع إثباتنا لصفة اليد لله سبحانه وتعالي لا يمكن تفسيره بأن يد الله عز وجل – والتي نثبتها بغير كيف – كانت فوق أيدي الصحابة رضوان الله عليهم علي الحقيقة تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا . وأيضا لا يمكن أن نفسر الآية بغير تفسير قوله تعالي ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ !!

ولذلك نجد الإمام إبن كثير يقول عند تفسير هذه الآية : ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَك إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّه ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا ﴿ مَـــنْ يُطِعْ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه ﴾ .. ﴿ يَد اللَّه فَوْق أَيْدِيهمْ ﴾ أَيْ هُوَ حَاضِر مَعَهُمْ يَسْمَع أَقْوَالهمْ وَيَرَى مَكَانهمْ وَيَعْلَم ضَمَائِرهمْ وَظَوَاهِرهمْ فَهُوَ تَعَالَى هُوَ الْمُبَايِع بِوَاسِطَةِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومثل قوله تعالي: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: ٣٧) إن مرورنا علي كلمة ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بدون تفسير لا يمكننا من تفســـير الآية والتفسير الظاهري يعني أن العين كانـــت الأداة المســـتخدمة في صناعة السفينة تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا !!

ولذلك نجد إبن كثير يقول عند تفسير هذه الآيـــة : ﴿ وَاصْـــنَعْ الْفُلْك ﴾ يَعْنِي السَّفِينَة ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أَيْ بِمَرْأًى مِنَّا ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أَيْ تَعْلِيمنَا لَك مَا تَصْنَعهُ .

ومن أمثلة ذلك في كلام السلف :

تفسير ابن عباس رضي الله عنه (الساق) في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم : ٤٢) ، بالشدة . حيث قال : يكشف عن شدة . (فتح الباري : ١٣ / ٤٢٨) .

وقد نقل ذلك الحافظ ابن جرير أيضا عن : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة وغيرهم .

وأيضا تفسير ابن عباس رضي الله عنه أيضا (الأيد) في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات : ٤٧) بالقوة كما في تفسير الطبري (٧ / ٢٧) . وقد نقل الحافظ ابن جرير هذا التفسير أيضا عن جماعة من أئمة السلف منهم : مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان .

وفسر ابن عباس رضي الله عنه أيضا النسيان الوارد في قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا﴾ (الاعراف :٥١) بالترك ، (تفسير الطبري : ٥ / ٢٠١) حيث قال ابن جرير : أي ففي هذا اليوم ، وذلك يوم القيامة ننساهم ، يقول نتركهم في العذاب . ونقل ابن جرير هذا التأويل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم .

ومن أمثلة ذلك في كلام الأئمة الثقات :

قال الحافظ الذهبي : (قال أبو الحسن عبد الملك الميموني : قال رجل لابي عبد الله – أحمد بن حنبل – : ذهبت إلى خلف البزار أعظه، بلغني أنه حدث بحديث عن الاحوص عن عبد الله – بن مسعود – قال : " ما خلق الله شيئا أعظم من آية الكرسي . . . " وذكر الحديث ، فقال أبو عبد الله – أحمد بن حنبل – : ما كان ينبغي أن يحدث بهذا في هذه الايام – يريد زمن المحنة – والمتن : " ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي " وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة : إن الخلق واقع ههنا على السماء والارض وهذه الاشياء ، لا على القرآن) . (سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٥٧٨) .

وقال ابن كثير : روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى : ﴿ **وَجَاء رَبُّك وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً** ﴾ (**الفجر : ٢٢**) أنه : جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه". (البداية والنهاية : ١٠/ ٣٢٧).

وروى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الامام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول : (احتجوا علي يوم المناظرة ، فقالوا : " تجئ يوم القيامة سورة البقرة .. " الحديث ، قال : فقلت لهم : إنما هو الثواب) .

كما نقل الحافظ البيهقي عن البخاري أنه قال : "معنى الضحك الرحمة" . (الاسماء والصفات / ٤٧٠) وفي صـ (٢٩٨) : "روى الفربري عن محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى أنه قال : معنى الضحك فيه – أي الحديث – الرحمة" . وقد نقل هذا التفسير أيضا الحافظ ابن حجر في "فتح الباري".

كما ذكر الحافظ ابن جرير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** ﴾ (**البقرة : ٢٩**) ما نصه : " والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** ﴾ (**البقرة : ٢٩**) الذي هو بمعنى : العلو والارتفاع . هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم ، كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال له : زعمت أن تأويل قوله : (استوى) : أقبل ، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟.. فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير ، قيل له :

فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقـــال وزوال" (تفسير الطبري : ١ / ١٩٢).

ويقول الحافظ ابن حجر موضحا هذه المسألة : "ولا يلـــزم مـــن كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصـــف بـــالعلو لان وصفه بالعلو من جهة المعنى ، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس" (فتح الباري : ٦ / ١٣٦) .

وفسر الحافظ ابن حبان حديث : "حتى يضع الرب قدمه فيها - أي جهنم - " فقال : " هذا الخبر من الاخبار التي أطلقـــت بتمثيـــل المجاورة ، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الامم والامكنة الـــتي يعصى الله عليها ، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعا من الكفار والامكنة في النار فتمتلئ ، فتقول : قط قط ، تريد : حسبي حسبي ، لان العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع . قـــال الله جل وعلا : (لهم قدم صدق عند ربهم) يريد : موضع صدق ، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار ، جل ربنا وتعالى عن مثـــل هـــذا وأشباهه " . (صحيح ابن حبان : ١ / ٥٠٢) .

وذكر الحافظ الذهبي في أن الامام مالكا رحمه الله تعـــالى فســـر النزول الوارد في الحديث بنزول أمره سبحانه فقال: " قال ابن عدي : حدثنا محمد بن هارون بن حسان ، حدثنا صالح بن أيـــوب حـــدثنا حبيب بن أبي حبيب حدثني مالك قال : "يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره فأما هو فدائم لا يزول " قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكـــير ، فقال حسن والله، و لم أسمعه من مالك" (سير أعلام النبلاء : ١٠٥/٨)

وذكر الحافظ الترمذي في سننه (٤ / ٦٩٢) بعد حديث الرؤية الطويل الذي فيه لفظة "فيعرفهم نفسه" فقال : "ومعنى قوله في الحديث : فيعرفهم نفسه يعني يتجلى لهم" .

ونقل البيهقي عن حماد بن زيد شيخ البخاري رحمه الله تعالى تفسيره للنزول الوارد في أحاديث النزول بإقباله جل جلاله إلى عباده . (الاسماء والصفات / ٤٥٦)

وروي ابن تيمية في الفتاوي ٤٢٨/٢ وما بعدها عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه أول الوجه في قوله تعالي : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ** ﴾ (**القصص : ٨٨**) بالدين أي كل شئ هالك إلا دينه . وعن الضحاك بأنه – أي الوجه – بذات الله والجنة والنار . وفسر ابن تيمية ذاته الوجه في الآية بالجهة أي : كل شئ هالك إلا ما أريد به جهة الله تعالي .

وروي البيهقي عن مجاهد في قوله نعالي : ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ (**البقرة :١١٥**) أنه قال : قبلة الله ، فأينما تولوا شرقا أو غربا فلا تتوجهن إلا إليها . (الاسماء والصفات / ٣٠٩)

إلي غير ذلك من أقوال السلف والأئمة الأعلام الذين لا يمكن المزايدة عليهم في مسألة الأسماء والصفات أو إتهامهم بأنهم من معطلة صفات الله عزوجل، أو أنهم لا يمتون لأهل السنة المثبتين بأي صلة في هذا الباب أو أنهم يستعملون الألفاظ الفضفاضة في القضايا التي يخالفون فيها أهل السنة حتى لا تتوجه إليهم سهام النقد !!

والذي يدلنا علي أن ما وقف أمامه خصوم سيد قطب رحمـــه الله من باب تفسر الأيات لا تأويل الصفات – إضافة إلي ما سبق من ذمه رحمه الله لأهل التأويل ومنهجهم –أن أثبت الكثير من الصفات الـــتي أولها أو عطلتها الفرق غير أهل السنة عند تعرضه للصفات في آيـــات لا يقتضي تفسيرها التأويل ومثال ذلك :

إثباته صفة النفس لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِـــنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـــهُ وَاللَّـــهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران آيه ٣٠) : " ثم يتابع سياق الجملـــة على القلب البشري فيكرر تحذير الله للناس نفسه سبحانه " .

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام : ١٢) قـــال : فهـــو سبحانه المالك ، لا ينازعه منازع ، ولكنه – فضلاً منه ومنة – كتب على نفسه الرحمة . كتبها بإرادته ومشيئته ، لا يوجبـــها عليه موجب ، ولا يقترحهـــا عليه مقترح ، ولا يقتضيها منه مقـــتض – إلا إرادته الطليقة وإلا ربوبيته الكريمة – وهي – الرحمة – قاعـــدة قضائه في خلقه ، وقاعدة معاملته لهم في الدنيا والآخرة .. والاعتقـــاد إذن بهذه القاعدة يدخل في مقومات التصور الإسلامي ... إلى أن قال ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ وقـــد تكـــرر وروده في الســـورة في

موضع آخر سياق : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ إن الـذي يستوقف النظر في هذا النص هو ذلك التفصيل الذي أشرنا من قبـل إليه تفضل الخالق المالك ذي السلطان القاهر فوق عباده ... تفضله – سبحانه – بأن يجعل رحمته بعباده في هذه الصـورة ... مكتوبـة عليـه .. كتبهـا هو على نفسـه ، وجعلها عهداً منه لعبـاده ... بمحض إرادته ومطلق مشيئته ... وهي حقيقة هائلة لا يثبت الكيـان البشري لتمليها وتأملها وتذوق وقعها ، حين يقف لتدبرها في هـذه الصورة العجيبة.

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ **(الأنعام : ٥٤)** : ويمضي السياق يأمر رسول الله صـلى الله عليـه وسلـم وهو رسول الله أن يبدأ أولئك الذين أسبغ عليهم فضل السبق بالإسلام ، والذين يسخر منهم أولئـك الكـبراء الأشـراف ! .. أن يبدأهم بالسلام .. وأن يبشرهم بما كتبه الله على نفسـه من الرحمة ، متمثلاً في مغفرته لمن عمل منهم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح: ... إلى أن قال : ويأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يبلغهـم ما كتبـه ربهـم على نفسـه . وحـتى لتبلـغ الرحـمـة أن يشمـل العفو والمغفرة الذنب كله .

ومن ذلك إثباته الكلام لله عز وجل حيث قال عند قوله تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَـلامَ اللَّهِ... ﴾ (البقرة: ٧٥) " ألا إنه لا مطمع ولا رجاء في أن يـؤمن أمثال هؤلاء . فللإيمان طبيعة أخرى ، واستعداد آخـر . إن الطبيعـة المؤمنة سمحة هينة لينة ، مفتحة المنافذ للأضواء ، مسـتعدة للاتصـال بالنبع الأزلي الخالد بما فيها من نداوة ولين وصفاء . وبما فيهـا مـن حساسية وتحرج وتقوى . هذه التقوى التي تمنعها أن تسمع كـلام الله ثم تحرفه من بعد تعقله " .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ وإذا كان الله قد كلم موسى تكليماً﴾ (النـسـاء : ١٦٤) "فلا نعلم إلا انه كان كلاماً" .

وقال عند تفسير سورة الأعراف آيه ١٤٣ : "المشهد الفذ الذي اختص الله به نبيه موسى عـليـه السلام مشهد الخـطاب المباشـر بين الجليل سبحانه وعبده موسى"

"ولا ندري كـيـف كـان كـلام الله سبـحانه لعبـده مـوسى . ولا ندري بأية حاسة أو جارحة أو أداة تلقـى موسـى كلمات الله ... إنما الوهلة المذهلة وموسى يتلقى كلمات ربه" .

وقال أيضاً عند تفسير سورة مريم آيه ٥٢ : "ويبين فضل موسى بندائه من جانب الـطـور الأيمن وتـقريـبه إلى الله لدرجة الكلام ... ولا نعلم كيف اعد الله كيان موسى البشري لتلقـي كـلام الله الأزلي إنما نؤمن انـه كان ... وكلام الله علوي على علويته" .

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ (**الشورى : ٥١**) "ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة ".

ومن ذلك إثباته صفة اليد لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (**الأعراف آية ٥٧**) : إنه تصور حي ينفي عن القلب البلادة . بلادة الآلية والجبرية . ويدعها أبداً في يقظة وفي وقاية .. كلما حدث حدث وفق سنة الله . وكلما تمت حركة وفق ناموس الله انتفض هذا القلب يرى قدر الله المنفذ ويرى يد الله الفاعلة ويسبح لله ويذكره ويراقبه ولا يغفل عنه بالآلية الجبرية ولا ينساه .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (**السجدة : ٩**) : أنها يد الله التي سوت هذا الإنسان ....

وذكر سيد قطب في تفسير قول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ .. (**الفتح : ١٠**) : وهو تصور رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده،

أن يد الله فوق أيديهم فالله حاضر البيعة ، والله صاحبها والله آخذها ويده فوق أيدي المتبايعين ...ومن ؟ الله ! يا للهول ! ويا للروعة ! ويا للجلال !..

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ **لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ (**الحديد آية ٢٩**) قال : ... فالله يدعوا الذين آمنوا إلى استحقاق رحمته وجنته وهبته ومغفرته حتى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على احتجاز شئ من فضله وان الفضل بيده يؤتيه من يشاء غير مقصور على قوم ، ولا محجوز لطائفة ولا محدود ولا قليل : ﴿ **وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ .*

ومن ذلك إثباته صفة المحبة لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **(المائدة : ٥٤)** : فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم .. الحب .. هذا الروح الساري اللطيف الرفراف المشرق الرائق البشوش .. هو الذي يربط القوم بربهم الودود .

---

*هناك مواضع اخرى أثبت فيها الشيخ رحمه الله صفة اليد لله تعالى منها : (٢ / ٩١٨) ، (٤ / ٢٤٧٨) ، (٥ / ٢٦٥٩) (٥ / ٢٩٧٨) ، (٦ / ٣٣٣٨) ، (٦ / ٣٣٨٥) .

وحب الله لعبد من عبيده ، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله – سبحانه – بصفاته كما وصف نفسه ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها .. أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي .. الذي يعرف من هو الله .. من هو صانع هذا الكون الهائل ، وصانع الإنسان الذي يخلص الكون وهو جرم صغير ! من هو في عظمته . ومن هو في قدرته . ومن هو في تفرده . ومن هو في ملكوته .. من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب .. والعبد من صنع يديه – سبحانه – وهو الجليل العظيم ، الحي الدائم ، الأزلي الأبدي ، الأول والآخر والظاهر والباطن .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها .. وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمراً هائلاً عظيماً ، وفضلاً غامراً جزيلاً ، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد ، الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه .. هو إنعام هائل عظيم .. وفضل غامر جزيل .

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده امراً فوق التعبير أن يصفه ، فإن حب العبد لربه امر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين .. وهذا الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين – وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل – ولازالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد وهي تقول :

فليتك تحلـــوا والحيـــاة مـــريـــرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
ولـــيت الذي بيني وبينك عـــامـــر
وبيـــني وبين العالميـــن خراب
إذا صح منك الود فالكـــل هيـــن
وكل الذي فوق التراب تراب

هذا الحب من الجليل للعبد من العبيد ، والحب من العبد للمـــنعم المتفضل ، يشيع في الوجود ويسري في هذا الكون العريض ، وينطبـــع في كل حي وفي كل شئ ، فإذا هو جو وظـــل يغمران هذا الوجـــود ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلاً في ذلك العبد المحب المحبوب .

وقال أيضاً عنـــد تفسير قولـــه تـــعالى : ﴿ **قُلْ أَطِيعُـــوا اللَّـــهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ٣٢) أي لا تخالفـــوا عن أمره ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ .. فـــدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصـــف بـــذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله .

ومن ذلك إثباته صفة الوجه لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (**البقرة آية : ١١٥**) : "فهي توحي بأنها جـــاءت رداً على تضليل اليهود في ادعائهم أن صلاة المسلمين إذاً إلى بيت المقدس كانت باطلة وضائعة ولا حساب لها عند الله ، والآية ترد عليهم هـــذا الزعم وهي تقرر أن كل اتجاه قبلة فثم وجهه حيثما توجه إليه عابـــد

وإنما تخصيص قبلة معينة هو توجيه من عند الله فيه طاعة ، لا أن وجه الله سبحانه في جهة دون جهة والله لا يضيق على عباده ولا ينقصهم ثوابهم ، وهو عليم بقلوبهم ونياتهم ودوافع اتجاهاتهم وفي الأمر سعه والنية لله إن الله واسع عليم" .

وقال في قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ** ﴾ .. (**القصص** : ٨٨) فكل شيء زائل ، وكل شيء ذاهب المال، والجاه ، والسلطان ، والقوة ، والحياة ، والمتاع وهذه الأرض ومن عليها وتلك السماوات ومن فيها ، وما فيها وهذا الكون كله ما نعلمه منه وما نجهله كله هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي متفرداً بالبقاء .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ (**الرحمن آية ٢٧**) : وفي ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس وتخشع الأصوات وتسكن الجوارح وظل الفناء يشمل كل حي ، ويطوي كل حركة ويغمر آفاق السماوات والأرض ، وجلال الوجه الكريم الباقي يظلل النفوس والجوارح والزمان والمكان ويغمر الوجود كله بالجلال والوقار .... ويعقب على هذه اللمسة العميقة الأثر بنفس التعقيب فيعد استقرار هذه الحقيقة الفناْ لكل من عليها وبقاء الوجه الجليل الكريم وحده بعد استقرار هذه الحقيقة نعمة يواجه بها الجن والإنس .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى** ﴾ (**الليل : ١٩ - ٢٠**) : ثم ماذا ؟ ماذا ينتظر هذا الأتقى ، الذي يؤتي ماله تطهراً ، وابتغاء وجه ربه

الأعلى ؟ إن الجزاء الذي يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب . ومفاجئ . وعلى غير المألوف .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ (**البقرة آية ٢٧٢**) : إن هذا هو شأن المؤمن لا سواه . إنه لا ينفق عن هوى ولا عن غرض . لا ينفق وهو يتلفت للناس يرى ماذا يقولون ! لا ينفق ليركب الناس بإنفاقه ويتعالى عليهم ويشمخ ! لا ينفق ليرضى عنه ذو سلطان أو ليكافئه بنيشان ! لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ (**الرعد آية ٢٢**) : والصبر ألوان . وللصبر مقتضيات . صبر على تكاليف الميثاق . من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد ... الخ . وصبر على النعماء والبأساء . وقل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر . وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهي تضيق الصدور .. وصبر وصبر وصبر وصبر .. كله ابتغاء وجه ربهم ، لا تحرجاً من أن يقول الناس : جزعوا . ولا تجملاً ليقول الناس : صبروا . ولا رجاء في نفع من وراء الصبر . ولا دفعاً لضر يأتي به الجزع . ولا لهدف واحد غير ابتغاء وجه الله ، والصبر على نعمته وبلواه . صبر التسليم لقضائه والاستسلام لمشيئته والرضى والاقتناع .. .

وقـال في تفسير قولـه تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ ، إِلَـى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ (**القيامـة آية ٢٢ – ٢٣**) : فلنتطلـع إلى فـيض السعادة الغامر الهادئ ، وفيض الفرح المقدس الطهور ، الذي ينطلـق من مجرد تصورنا لحقيقـة الموقف على قدر مـا نملـك . ولنشـغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض ، فهذا التطلع ذاته نعمة . لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم ..

إثباته صفة الرؤية لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (**الأعراف آيـة ٥**) "الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فهو يراهم كمـا جاء في الوصف النبوي للإحسان " .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَـا أَسْـمَعُ وَأَرَى**﴾ (**طه آية ٤٦**) إنـه القوي الجبار الكبير المتعـال إنـــه الله القـاهر فوق عبـاده . إنـه موجد الأكـوان والحيوانـات والأفـراد والأشيـاء بقولـه : كـن ولا زيادة .. إنـه معهما .. وكان هـذا الإجمال يكفي . ولكنه يزيدهما طمأنينة ولمسـا بـالحس للمعونـة : ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفـرط أو يطغى ؟ والله معهما يسمع ويرى !!..

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِـي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَـا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ (**المجادلة : ١**) : وهو مطلع ذو إيقاع عجيـب .. إنكما لم تكونا وحدكما .. لقد كان الله معكما . وكان يسـمع

لكما . لقد سمع قول المرأة . سمعها تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله . وعلم القصة كلها . وهو يعلم تحاوركما وما كان فيه .. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ . يسمع ويرى . هذا شأنه وهـذه صـورة منـه في الحادث الذي كان الله ثالثكما فيه ..

وقال في تفسير قولـه تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّـهَ يَـرَى** ﴾ (**العلق : ١٤**) : هنا يجيء التهديد الملفوف كما جاء في نهاية المقطـع الماضي : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** ﴾ يرى تكذيبه وتوليه . ويـرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلى ، وهو على الهدى آمراً بـالتقوى . يـرى وللرؤية ما بعدها ! ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** ﴾ .

وقد أثبت سيد قطب رحمه الله أن هذه الرؤية تكون بعـين الله كما مر قبل قليل في قوله : "وهم يشعرون أن عين الله تراهم" .

ومن ذلك إثباته رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة حيث قال عنـد تفسير قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَـى رَبِّهَـا نَـاظِرَةٌ** ﴾ (**القيامة : ٢٢ – ٢٣**) : إن هذا النص ليشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها ، كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها . ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة مـن السـعادة لا تشبهها حالة . حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم !

هذه الوجوه الناضرة .. نضرها أنها إلى ربها ناظرة .. إلى أي مستوى من الرفعة هذا ؟ أي مستوى من السعادة ؟ إن روح الإنسان لتستمتع أحياناً بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس ، تراها في الليلة القمراء . أو الليل الساجي . أو الفجر الوليد . أو الظل المديد . أو البحر العباب . أو الصحراء المناسبة . أو الروض البهيج . أو الطلعة البهية . أو القلب النبيل . أو الإيمان الواثق . أو الصبر الجميل .. إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود .. فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور في عوالم مجنحة طليقة . وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ، وثقلة طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء .. فكيف ؟ كيف بها وهي تنظر – لا إلى جمال صنع الله – ولكن إلى جمال ذات الله ؟ .

ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مد من الله . ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله . ليملك الإنسان نفسه ، فيثبت ، ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ .. وما لها لا تتنضر وهي إلى جمال ربها تنظر ؟ إن الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض . من طلعة بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفراف ، أو روح نبيل ، أو فعل جميل . فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فيبدوا فيها الوضاءة والنضارة . فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال . مطلقاً من كل ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟ فما تبلغ الكينونة الإنسانية ذلك المقام ، إلا وقد خلصت من كل شائبة تصدرها عن بلوغ ذلك المرتقى الذي يعز على الخيال ! كل شائبة لا فيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من دواعي النقص والحاجة إلى شيء

ما سوى النظر إلى الله .. فأما كيف تنظر ؟ وبأي جارحة تنظر ؟ وبأي وسيلة تنظر ؟ .. فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني ، في القلب المؤمن ، والسعادة التي يفيضها على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق ! .

فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق ، لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته ؟!..

إن ارتقاء الكينونة الإنسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية المحدودة هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة المطلقة يوم ذاك . وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور – مجرد تصور – كيف يكون ذاك اللقاء .

إذن فقد كان جدلا ضائعاً ذلك الجدل الطويل المديد الذي شغل المعتزلة أنفسهم ومعارضيهم من أهل السنة والمتكلمين حول حقيقة النظر والرؤية في ذلك المقام .... .

إلى أن قال : فالتطلع إلى فيض السعادة الغامر الهادئ ، وفيض الفرح المقدس الطهور ، الذي ينطلق من مجرد تصورنا لحقيقة الموقف على قدر ما نملك . ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض ، فهذا التطلع ذاته نعمة . لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم ...

إثباته صفة السمع لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ **قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ (طـــه : ٤٦) إنـــني معكما .. إنه القوي الجبار الكبير المتعال . إنه الله القاهر فوق عبـــاده إنه موجد الأكوان والحيوانات والأفراد والأشياء بقوله : كـــن . ولا زيادة .. إنه معهما . وكـــان هذا الإجمال يكفي . ولكنـــه يزيـــدها طمأنينـــة ولمســـاً بالحس للمعونـــة : ﴿ **أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى ؟ والله معهما يسمع ويرى ؟..

وقال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِـــلُّ عَلَـــى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ** ﴾ (سبا: ٥٠) : ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ وهكذا كانوا يجدون الله . هكذا كانوا يجدون صفاته هذه في نفوسهم كانوا يجدونها رطبة بالحياة الحقيقيـــة كـــانوا يحسون إن الله يسمع لهم وهو قريب منهم . وأنه معني بأمرهم عنايـــة مباشرة وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَـــمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ (**المجادلة: ١**) وهو مطلع ذو إيقاع عجيب.. إنكما لم تكونا وحدكما .. لقد كان الله معكما . وكان يسمع لكما لقد سمع قـــول المرأة . سمعها تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله . وعلم القصة كلها وهو يعلم تحاوركما وما كان فيه إن الله سميع بصير . يسمع ويرى .

إثباته صفة الاستهزاء لله عز وجل حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .. (البقرة آية ١٥) : وما أبأس من يستهزئ به جبار السماوات والأرض وما أشقاه !! وإن الخيال ليمتد إلى مشهد مفزع رهيب ، وإلى مصير تقشعر من هوله القلوب .

وهو يقرأ : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .. فيدعهم يخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته ، واليد الجبارة تتلقاهم في نهايته ، كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخ ، غافلة عن المقبض المكين .. وهذا هو الاستهزاء الرهيب ، لا كاستهزائهم الهزيل الصغير .

وهنا كذلك تبدو تلك الحقيقة التي أشرنا من قبل إليها . حقيقة تولي الله – سبحانه – للمعركة التي يراد بها المؤمنون وما وراء هذا التولي من طمأنينة كاملة لأولياء الله ، ومصير رهيب بشع لأعداء الله الغافلين ، المتروكين في عماهم يخبطون ، المخدوعين بمد الله لهم في طغيانهم ، وإمهالهم بعض الوقت في عدوانهم ، والمصير الرهيب ينتظرهم هنالك ، وهم غافلون يعمهون ! " .

وهذه الصفات جميعا مما يؤوله المؤولة ويعطله المعطلة فكيف ينسب إلي الشيخ رحمه الله التأويل أو التعطيل ؟!

أما غير ذلك فلقد اعتذر الشيخ رحمه الله عن ما وقع في بعض كتبه من التأويل فقال رحمه الله "وما ابرىء نفسي فقد انسقت في هذا التاويل الذي ارجح عدم صحته في بعض ما كتبت" الظلال ١/٢٤٦

وقال أيضا "وما ابرىء نفسى انى فد انسقت الى شيء من هذا ـ يقصد بعض الزلل يكون قد وقع فيه - وارجو ان اتداركه في الطبعة التالية اذا وفق الله وما اقرره هنا هو ما اعتقده الحق بهداية من الله " الظلال ٦/٣٧٣٠ الهامش .

وفعلا أثناء الطبعة الثانية وهي الطبعة المنقحة بدا الشيخ سيد قطب رحمه الله يصحح ما يراه يستحق التصحيح والتصويب الى ان وصل الى الجزء ١٠ فاغتالته أيدي الطغاة رحمه الله تعالي و لم يمهله القدر أن يراجع الـ ٢٠ جزأ الباقية .

ومثال ذلك : أن سيد قطب رحمه الله ذهب في تفسير الاستواء في الطبعة الاولى من الظلال على انه كناية عن الهيمنة والاستعلاء . لكنه في الطبعة الثانية رجع عن ذلك فقال عند تفسير قوله تعالي :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الاعراف :٥٤) ، وهي أول آية ذكر فيها الإستواء في كتاب الله تعالي . قال رحمه الله : إن عقيدة التوحيد الإسلامية ، لا تدع مجالاً لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه ؛

ولا عن كيفيات أفعاله . . فالله سبحانه ليس كمثله شيء . . ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشيء صورة عن ذات الله . فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء . فإذا كان الله - سبحانه - ليس كمثله شيء ، توقف التصور البشري إطلاقاً عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى . ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعاً لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعاً . ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله . . وهذا هو مجاله . .

ومن ثم تصبح أسئلة كهذه:كيف خلق الله السماوات والأرض ؟ كيف استوى على العرش ؟ كيف هذا العرش الذي استوى عليه الله سبحانه ؟! . . . تصبح هذه الأسئلة وأمثالها لغوا يخالف توجيهها قاعدة الاعتقاد الإسلامي . أما الإجابة عليها فهي اللغو الأشد الذي لا يزاوله من يدرك تلك القاعدة ابتداء ! ولقد خاضت الطوائف - مع الأسف - في هذه المسائل خوضاً شديداً في تاريخ الفكر الإسلامي ، بالعدوى الوافدة على هذا الفكر من الفلسفة الإغريقية " الظلال الثانية وما بعدها .

فهذا أخي حقيقة موقف الشيخ رحمه الله تعالي من مسألة الأسماء والصفات وهو كما رأيت لا يخالف موقف أهل السنة في شئ اللهم إلا اختلاف أسلوب الكتابة من جيل إلي جيل ومن عصر إلي عصر والله سبحانه ما تعبدنا بنص كلمات السلف رضوان الله عليهم ولكنه سبحانه تعبدنا بفهم الكتاب العزيز .

سيد قطب وأخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة

الشبهة الثالثة هي قولهم أن سيد قطب رحمه الله من المبتدعة الذين أنكروا خبر الآحاد في العقيدة كالمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة وهذا القول هو بداية الإنكار للسنة ويستشهدون علي ذلك بقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره بعد رده على الروايات التي تذكر سحر اليهود للنبي – صلى الله عليه وسلم – (... وقد وردت روايات بعضها صحيح ولكنه غير متواتر، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد) (الظلال ٦/٤٠٠٨).

وقالوا أن سيد قطب بهذا القول يكون من من قال فيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) رواه أصحاب السنن .

والحقيقة أنني لا أملك أن أنفي هذه الشبهة عن الشيخ سيد قطب رحمه الله ! ليس فقط لأن قول الشيخ في هذا الأمر واضح وصريح ومؤكد ولكن أيضا لأن هذا قول جمهور علماء أهل السنة رحمهم الله كما قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١ / ١٣١) حيث قال : " وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحدا أو أكثر ، واختلف في حكمه فالذي عليه

جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الاصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم" .

وقبل أن يسارع أحدهم فيتهم الإمام النووي في دينه كما إتهموا سيد قطب إليكم أقوال علماء الحديث غير النووي رحمه الله :

قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد : " واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعا ، أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم - أي المالكية - أنه يوجب العمل دون العلم ، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه . وقال قوم من أهل الاثر وبعض أهل النظر إنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعا ، منهم الحسين الكرابيسي وغيره ، وذكر ابن خوازمنداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك ، قال أبو عمر - ابن عبد البر - : الذي نقول به إنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والاربعة سواء وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والاثر" (التمهيد : ١ / ٧) .

قال الامام الشافعي رحمة الله: " الاصل القرآن والسنة وقياس عليهما ، والاجماع أكبر من الحديث المنفرد ". (أبو نعيم في حلية الأولياء : ٩ / ١٠٥ ، وأبو حاتم في آداب الشافعي / ٢٣١ و٢٣٣) والحافظ البيهقي في مناقب الشافعي : ٢ / ٣٠) .

فالإجماع عند الامام الشافعي أكبر من الحديث المنفرد أي حديث الآحاد لان الاجماع يفيد العلم والقطع والحديث المنفرد يفيد الظن .

وقال الامام الحافظ البخاري رحمه الله تعالى في كتاب أخبار الآحاد من صحيحه : " باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الاذان والصلاة والصوم والفرائض والاحكام" . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه عليه : "وقوله والفرائض بعد قوله : في الاذان والصلاة والصوم من عطف العام على الخاص ، وأفرد الثلاثة بالذكر للاهتمام بها ، قال الكرماني : ليعلم إنما هو في العمليات لا في الاعتقاديات" . (فتح الباري: ١٣ / ٢٣١) .

وقال الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه : "الكفاية في علم الرواية : ٤٣٢) : " باب ذكر ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه : خبر الواحد لا يقبل في شئ من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع عليها ، والعلة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد من العلم بمضمونه فأما ما عدا ذلك من الاحكام التي لم يوجب علينا العلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قررها وأخبر عن الله عزوجل بها فإن خبر الواحد فيها مقبول والعمل واجب " .

قال الحافظ البيهقي : "ولهذا الوجه من الاحتمال ، ترك أهل النظر من أصحابنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالى ، إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب أو الاجماع واشتغلوا بتأويله" (الاسماء والصفات / ٣٥٧) .

وقال الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر وعلي القاري الحنفي في شرحه عليها صـــ (٣٧) - وما بين الاقواس - كلام الحافظ ابن حجر : (وفيها أي في الآحاد) أي في جملتها خاصة . . . (المقبـــول وهو ما يوجب العمل به عند الجمهور) احتراز عن المعتزلـــة فـــإنهم أنكروا وجوب العمل بالآحاد بدليل ما نقل عنهم من استدلال بخـــبر الواحد (وفيها) أي أحاديث الآحاد (المردود وهو الذي لم يـــرجح صدق المخبر به لتوقف الاستدلال بها على البحث عن أحوال رواتهـــا دون الاول) أي القسم الاول وهو المتواتر (فكله) ضميره راجع إلى المتواتر (مقبول) أي قبولا قطعيا لا ظنيا (لافادته) أي الخبر المتواتر (القطع بصدق مخبره بخلاف غيره من أخبار الآحاد) .

وقال الحافظ أبو منصور عبد القاهر البغدادي : " وأخبار الآحاد متى صح اسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم" (أصول الدين للبغدادي / ١٢) .

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله في تعليقه علي حديث "يخرج في اخر الزمان رجل من ولدي إسمه كاسمي وكنيته كنيتب يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا فذلك هو المهدي: " الثاني : أن هـــذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الايمان إلا به ؟ !" (منهاج السنة : ٤ / ٩٥)

وقال فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق —رحمه الله تعالى – : أما إذا روى الخبر واحد، أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يكون (آحاديا) في اتصاله بالرسول شبهة، فلا يفيد اليقين. (كتاب الإسلام.. عقيدة وشريعة)

وقال البزدوي : (وأما دعوى علم اليقين — يريد في أحاديث الآحاد — فباطلة بلا شبهة لأن العيان يرده؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله).

وقال الغزالي: (خبر الواحد لا يفيد العلم وهو — أي عدم إفادته العلم — معلوم بالضرورة. وما نُقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علما".

وقال الأسنوي: (وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن).

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شئ منه، ويحملون قول من قال: (إن خبر الواحد يفيد العلم) على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد، أو العلم بوجوب العمل. على أن الكلام إنما هو في إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يحدث العلمُ في نفسه بما هو أقل من خبر الذي نتحدث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجة على

أحد، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها، فإن الله تعـالى لم يكلـف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومـن هنا يتأكد أن ما قرره الشيخ رحمه الله من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مجمـع عليـه وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!

فهل بعد ذلك يكون قول سيد قطب رحمه الله قول بدعي كمـا يزعمون ؟..

أما قولهم بأن ذلك هو منهج المعتزلة ومن وافقهم من الأشـاعرة فهذا من تدليسهم علي الشيخ سيد قطب رحمه الله وعلـي المعتزلـة والأشاعرة علي السواء لماذا ؟ لأن المعتزلة يقولون بعدم حجية أحاديث الآحاد الصحيحة لا في العقيدة ولا في الفقه أي أنها لا تفيد لا العلـم ولا العمل علي السواء !! ورفضهم لحجية أحاديث الآحاد الصحيحة في الفقه أي إفادتها العمل بتعبير الفقهاء هو ما رده عليهم علماء أهـل السنة وفقهائهم .

أما عدم حجية أحاديث الآحاد الصحيحة في العقيدة فهذا مـن الأمور المتفق عليها بين جمهور علماء أهل السنة كما قال النووي رحمه الله ، فهل يخرج سيد قطب رحمه الله عن هذا الإجماع ليرضي مرضـي القلوب والعقول؟!!

سيد قطب وتكفير المسلمين

أما الشبهة الرابعة هي ما يدعيه خصوم الشيخ سيد رحمه الله أنــه كان يكفر المسلمين أو المجتمعات الإسلامية وأن المســلمين اليــوم في جاهلية وأن المجتمع الإسلامي غير موجود ، يبنون هذا الحكم الجــائر علي نصوص إقتطعوها إقتطاعا مشوها من كتابات الشيخ رحمه الله ثم أولوها تأويلا متعسفا ليخرجوا لنا بهذه النتيجة الغير منصفة طعنا منهم في عقيدة الشيخ رحمه الله .

فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ قال : ولكن المشقة الكبرى التي تواجــه حركات الإسلام الحقيقية اليوم ليست في شيء من هذا .. إنها تتمثــل في وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين ، في أوطان كانت في يوم من الأيام دارا للإسلام ، يسيطر عليها دين الله ، وتُحكم بشريعته .. ثم إذا هذه الأرض ، وإذا هذه الأقوام ، تهجر الإسلام حقيقــة ، وتعلنه إسما وإذا هي تتنكر لعقيدة الإسلام اعتقادا وواقعا وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقادا فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد أن الله – وحده – هو خالق هذا الكــون المتصرف فيه وأن الله وحده هو الذي يتقدم إليــه العبــاد بالشــعائر التعبدية ونشاط الحياة كله وأن الله – وحده – هو الذي يتلقى منــه العباد الشرائع ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله وأيما فرد لم يشهد أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فإنه لم يشهد و لم يدخل في الإسلام

بعد ، كائنا ما كان اسمه ولقبه ونسبه وأيما أرض لم تتحقق فيها شهادة أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فهي أرض لم تــدن بـــدين الله و لم تدخل في الإسلام بعد وفي الأرض اليوم أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين وهم من سلالات المسلمين وفيها أوطان كانت في يوم مـــن الأيام دارا للإسلام ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إلـــه إلا الله – بذلك المدلول – ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضى هذا المدلول .

وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام أشق ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريـــق المسلمين الصالحين وطريق المشركين المجرمين واخـــتلاط الشـــــارات والعناوين والتباس الأسماء والصفات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفـــارق الطريق .

ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة فيعكفـــون عليهـــا توسيعا وتمييعا وتلبيسا وتخليطا حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل "تهمة" يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام تهمة تكفير " المسلمين " ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصـــطلاحهم لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله .

هذه هي المشقة الكبرى وهذه كذلك هي العقبة الأولى التي لا بد أن يجتازها أصحاب الدعوة إلى الله في كل جيل .

يجب أن تبدأ الدعوة إلى الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ويجب أن لا تأخذ أصحاب الدعوة إلى الله في كلمة الحـــق والفصـــل

هوادة ولا مداهنة وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف وألا تقعـــدهم عنها لومة لائم ولا صيحة صائح انظروا إنهم يكفرون المسلمين .

إن الإسلام ليس بهذا التمييع الـــذي يظنـــه المخــــدوعون ، إن الإسلام بَيِّن والكفر بَيِّن ، الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله – بـــذلك المدلول – فمن لم يشهدها على هذا النحو ومن لم يقمهـــا في الحيـــاة على هذا النحو فحكم الله ورسوله فيه أنه مـــن الكـــافرين الظـــالمين الفاسقين المجرمين .

وقوله في تفسير قولـــه تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُـــوا الصَّـــلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (**يونس : ٨٧**) " وتلك هي التعبئة الروحيـــة إلى جوار التعبئة النظامية وهما معا ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصـــة قبيل المعارك والمشقات ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية ولكـــن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تســـاوي شيئا كثيرا في ساعة الشدة .

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة ليست خاصة ببني إسرائيل فهي تجربة إيمانية خالصة وقـــد يجـــد المؤمنين أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي وقـــد عمـــت الفتنة وتجبر الطاغوت وفسد الناس وأنتنت البيئة وكذلك كان الحـــال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدنا الله إلى أمور :

١- اعتزال الجاهلية ، نتنها وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها لتطهرها وتزكيها وتدربها وتنظمها حتى يأتي وعد الله لها .

٢- اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المؤمنة مساجد تحس فيها بانعزال عن المجتمع الجاهلي وتزاول عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعا من التنظيم في جو العبادة الطهور .

وقوله " لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن : " لا إله إلا الله " دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية " الحاكمية " التي يدعيها العباد لأنفسهم - وهي مرادف الألوهية - سواء ادعوها كأفراد أو كتشكيلات تشريعية أو كشعوب فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة فليس لها إذن حق الحاكمية إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية و لم تعد توحد الله وتخلص له الولاء .

البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات : " لا إله إلا الله " بلا مدلول ولا واقع وهؤلاء أثقل إثما وأشد عذاباً يوم القيامة لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد - من بعد ما تبين لهم الهدى - ومن بعد أن كانوا في دين الله .

فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلا أمام هذه الآيات البينات ! ما أحوجها أن تقف أمام آيات الولاء : ﴿ **قُلْ أَغَيْــرَ اللّــهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّــي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ .

ذلك لتعلم أن اتخاذ غير الله وليا - بكل معاني " الــولي " وهــي الخضوع والطاعة والإستنصار والاستعانة يتعارض مع الإسلام لأنه هو الشرك الذي جاء الإسلام ليخرج منه الناس ولتعلم أن أول ما يتمثــل فيه الولاء لغير الله هو تقبل حاكمية غير الله في الضمير أو في الحيــاة ، الأمر الذي تزاوله البشرية كلها بدون استثناء ولتعلم أنهــا تســتهدف اليوم إخراج الناس جميعا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأنهــا تواجه جاهلية كالتي واجهها رسول الله - صلى الله عليــه وســلم - والجماعة المسلمة حين تلقي هذه الآيات .

وما أحوجها أن تستصحب في مواجهتها للجاهلية تلك الحقــائق والمشاعر التي تسكبها في القلب المؤمن الآيات التالية ﴿ **قُــلْ إِنِّــي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِــذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّــهُ بِضُــرٍّ فَــلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَــدِيرٌ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ .

فما أحوج من يواجه الجاهلية بطاغوتها وجبروتهـا وبإعراضـها وعنادها وبالتوائها وكيدها وبفسادها وانحلالها .. ما أحوج من يواجه هذا الشر كله أن يستصحب في قلبه هذه الحقائق وهذه المشاعر مخافة المعصية والولاء لغير الله ومخافة العذاب الرهيب الذي يترقب العصاة .. واليقين بأن الضار والنافع هو الله . وأن الله هو القاهر فوق عباده فلا معقب على حكمه ولا راد لما قضاه ، إن قلبا لا يستصحب هـذه الحقائق وهذه المشاعر لن يقوى على تكاليف "إنشاء " الإسلام مـن جديد في وجه الجاهلية الطاغية.. وهي تكاليف هائلة تنوء بها الجبال !

ثم ما أحوج العصبة المؤمنة – بعد أن تستيقن حقيقة مهمتـها في الأرض اليوم ، وبعد أن تستوضح حقيقة العقيدة الـتي تـدعو إليهـا ومقتضياتها من إفراد الله سبحانه بالولاء بكل مدلولاتـه ، وبعـد أن تستصحب معها في مهمتها الشاقة تلك الحقـائق والمشـاعر .. مـا أحوجها بعد ذلك كله إلى موقف الإشهاد والقطع والتبرؤ من الشرك الذي تزاوله الجاهلية البشرية اليوم كما كانت تزاولـه جاهلية البشرية الأولى . وأن تقول ما أمر رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – أن يقوله ؛ وأن تقذف في وجه الجاهلية بما قذف به في وجههـا الرسول الكريم تنفيذا لأمر ربه العظيم .

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَـهِيدٌ بَيْنِـي وَبَيْـنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْـهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَـرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

والحقيقة أن هذه النصوص لا تقوم بها حجة علي ما زعموه من تكفير الشيخ سيد رحمه الله للمسلمين ففي المقطع الأول لا يتحدث الشيخ عن حكم فقهي وإنما يتحدث عن نقطة البدء في إصلاح المجتمعات الإسلامية وهي نفس النقطة التي بدء منها الكثير من العلماء الأجلاء دعواتهم الإصلاحية كابن تيمية ومحمد ابن عبد الوهاب إن سيد قطب يقول في هذا المقطع أن نقطة البدء في إصلاح المجتمع المسلم في هذا العصر هي تفهيم المسلمين أن من مقتضيات " لا إله إلا الله " الإحتكام إلي شريعة الله سبحانه . فهل يخالف في ذلك مسلم ؟ أليست تلك هي نفس الدعوة التي يتشدق بها خصوم الأستاذ سيد قطب : إصلاح العقيدة !!

ولذلك يقول رحمه الله في رسالة لماذا أعدموني ؟ :

"لابد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة : وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة، تربية إسلامية صحيحة، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به".

"ويجب أن أقرر أن الإسلام شيءٌ أكبر من هذا كله.. إنه نظام حياة كاملة، وإنه لا يقوم إلا بتربية وتكوين للأفراد، وإلا بتحكيم

شريعة الله في حياة الناس بعد تربيتهم تربية إسلامية، وإنه ليس مجرد أفكار تُنشَر أو تذاع بدون الأخذ في تطبيقها عمليًّا في التربية أولاً، وفي نظام الحياة والحكم أخيراً".

أما في المقطع الثاني فالشيخ رحمه الله يستخلص درسا قرآنيا للمؤمنين أنهم إذا تعرضوا يوما ما لمثيل ما تعرض له موسي عليه السلام ومن معه مع فرعون فعليهم أن :

١- اعتزال الجاهلية ، نتنها وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها لتطهرها وتزكيها وتدربها وتنظمها حتى يأتي وعد الله لها .

٢- اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المؤمنة مساجد تحس فيها بانعزال عن المجتمع الجاهلي وتزاول عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعا من التنظيم في جو العبادة الطهور.

فما دخل ذلك بمجتمعاتنا ومساجدنا !! إنه يتحدث عن حالة معينة إذا وقعت فيقول :

"وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة ليست خاصة ببني إسرائيل فهي تجربة إيمانية خالصة وقد يجد المؤمنين أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت وفسد الناس وأنتنت البيئة وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدنا الله إلى أمور . "

إذا هي تجربة يعرضها القرآن الكريم ليستفيد منها المؤمنين في أي زمان وفي أي مكان يتعرضون فيه لنفس الضغوط .

ولنتأمل قول ابن كثير في هذه الآية يقول : "اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ عن ابن عبـــاس قـــال : ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال : كانوا خائفين فأمروا أن يصـــلوا في بيوتهم وكذا قال مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم يقول ابن كثير وكأن هذا والله أعلم لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وضيقوا عليهم وقال مجاهد ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَـــةً ﴾ لمـــا خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة أمـــروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد " .

فالأمر إذا مقيدا بالخوف من الطواغيت أما المساجد التي أسست على تقوى من الله والتي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يقول عنـــها سيد عند قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُـــذْكَرَ فِيهَـــا اسْمُهُ ﴾ يقول تلك البيوت ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ وأذن الله هو أمر للنفاذ فهي مرفوعة قائمة وهي مطهرة رفيعة يتناسق مشهدها المرفـــوع مع النور المتألق في السماء والأرض وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السني المضيء وتتهيا بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اســـم الله ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ...... الآية ... إلخ " .

أما المقطع الثالث فمنشأ الخطأ فيه راجع إلي أمور :

أولا أنهم جعلوا كلمة " الجاهلية " بنفس معني كلمة الكفر وهي ليست كذلك لا لغة ولا شرعا فأما لغة فالجاهلية نسبة الجهل الـــذي هو ضد العلم والمعرفة، أو من الجهل الذي هو السفه أي ضد الحلـــم، وهو شدة الأنفة والخفة والغضب. فإن العرب قد أطلقت الجهل علــى المعنيين .

وفي معلقة عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أما شرعا فقد استخدمت النصوص الشــرعية كلمـــة " الجهـــل والجاهلية " بالمعنيين السابقين وأضافت لهما معنا ثالثًا ، بأن جعلت من الجاهلية السلوك والمنهج المخالف لمنهج الحياة في الإسلام.

فمن الآيات التي وردت فيها بمعنى العلم قوله تعالى: ﴿ **للفقـــراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾ (**البقرة: ٢٧٣**).

ومن الآيات التي وردت فيها بمعنى الطيش والســـفه قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبـــون مـــن قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليمًا حكيمًا** ﴾ (**النساء: ١٧**).

ومن النوع الثالث قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لأبي ذر : " أنت امرؤ فيك جاهلية " و لم يعني طبعا أنه امرؤ فيه كفر !

ومنه قوله تعالي : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آل عمران : ١٥٤)

وقوله تعالي : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة : ٥٠)

وقوله تعالي : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب:٣٣) .

فالمجتمع الجاهلي ليس هو المجتمع الكافر وإن كان المجتمع الكافر هو مجتمع جاهلي لأن الجاهلية هي البعد عن منهج الله عز وجل .

ثانيا أنهم جعلوا من وصف المجتمعات بالجاهلية وصفا لأفرادها وهذا مخالف للمنهج الإسلامي الذي يفرق بين المجتمعات البشرية وبين الأفراد فيما يعرف بالإحتياط في تكفير المعين حيث أن أهل السنة والجماعة يفرقون بين الكفر المطلق والكفر المعين فلا يرون بأساً أن نقول من فعل كذا فهو كافر أو القول بخلق القرآن كفر وما شابه

ذلك لكن لا يكفرون المعين إلا إذا توفرت شروط وانتفت موانع وانظر في ذلك كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٤٥) فالقول بتكفير المجتمعات أو الأنظمة أو الدول كفر مطلق لا يستلزم كفر الأعيان .

والشيخ سيد قطب رحمه الله لم يتعرض للأفراد المسلمين في حديثه عن جاهلية المجتمع بل يتحدث عن نظمه وتشريعاته وقيمه ومصادر المعرفة والقيم فيه ، فهو يطلق كلمة المجتمع ويعنى بها نظام الحكم فجاهلية المجتمع عنده هي جاهلية النظام في مناهجه وتشريعاته وقيمه .

ثم إن قوله عن انقطاع الأمة المسلمة سبقه تعليل هو قوله : (الأمة المسلمة جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي وهذه الأمة بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ أنقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعاً) (مقدمة معالم في الطريق) .

ويؤكد أن هذا الحكم خاص بالأنظمة ولا يلحق الشعوب فيقول (الأمة المسلمة هي التي تحكم في كل جانب من جوانب حياتها الفردية والعامة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بشريعة الله ومنهجه وهي بهذا الوصف غير قائمة وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين لأنه فيما يختص بالفرد يكون الاحتكام إلى عقيدته وخلقه وفيما يختص بالأمة الاحتكام إلى نظام حياتها كلها) .

وهذا ما ذهب إليه علماء الأمة في حديثهم عن دار الإسلام ودار الكفر فعلى سبيل المثال :

١- ما أفتت به لجنة الأزهر الشريف جواباً على سؤال عن الحكم الذي خلف الخلافة الإسلامية التركية فقالت الفتوى : دار الإسلام هي التي تجرى فيها أحكام الشريعة وتعتبر بالنسبة لسائر المسلمين بلداً واحداً .

٢- وذهب ابن تيمية إلي أن الأرض التي سكنها المسلمون هي دار إسلام أما الأرض التي زال عنها الحكم الإسلامي وأهلها مسلمون فهي قسم ثالث ليست بمنزلة دار الإسلام ولا بمنزلة دار الكفر فيعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج على شريعة الإسلام بما يستحقه.

ثالثا أنهم جعلوا من قول سيد قطب رحمه الله بأن الناس لا يعيشون في مجتمع إسلامي اليوم قولا بكفر هؤلاء الناس وهذا ما لم يقله أحد حتى سيد قطب نفسه ففي تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ** ﴾ (**الأنفال : ٧٢**) يقول سيد قطب: (فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم، ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية، ولكن هناك رابطة العقيدة) فالسيد قطب لم يحكم على هؤلاء المسلمين بالكفر لأنهم يعيشون خارج المجتمع المسلم، بل احتفظ لهم بصحة العقيدة، وذلك هو الموقف الصحيح لأن الله تعالى وصفهم بالايمان فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ** ﴾ كما وصفهم بالدين فقال: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾ .

والآن يرد سؤال : ما هو موقف سيد قطب من تكفير المسلم ؟

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً** ﴾ (النساء : ٩٤) : " يأمر الله المسلمين إذا خرجوا غزاة، ألا يبدأوا بقتال أحد أو قتله حتى يتبينوا، وأن يكتفوا بظاهر الإسلام في كلمة اللسان، إذ لا دليل يناقض كلمة اللسان " فالشيخ يكتفي هنا بظاهر الإسلام في كلمة اللسان، ويعتبر الانسان بذلك مسلماً معصوم الدمّ .

ويقول في تفسير الآية ١١٧ من سورة البقرة : "وقد بهتت صورة الزكاة في حسنا وحس الأجيال التعيسة من الأمة الإسلامية التي لم تشهد نظام الإسلام مطبقا في عالم الواقع؛ و لم تشهد هذا النظام يقوم على أساس التصور الإيماني والتربية الإيمانية والأخلاق الإيمانية فيصوغ النفس البشرية صياغة خاصة ثم يقيم لها النظام الذي تتنفس فيه تصوراتها الصحيحة وأخلاقها النظيفة وفضائلها العالية ويجعل الزكاة قاعدة هذا النظام في مقابل نظام الجاهلية الذي يقوم على القاعدة الربوية، ويجعل الحياة تنمو والاقتصاد يرتقي عن طريق الجهد الفردي أو التعاون البريء من الربا".

ثم يقول: "إن الله سبحانه يعد الذين يقيمون حياتهم على الإيمان والصلاح والعبادة والتعاون أن يحتفظ لهم بأجرهم عنده، ويعدهم بالأمن فلا يخافون، وبالسعادة فلا يحزنون، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، في الوقت الذي يوعد أكلة الربا والمجتمع الربوي بالمحق والسحق وبالتخبط والضلال وبالقلق والخوف.

وشهدت البشرية ذلك واقعًا في المجتمع المسلم؛ وتشهد اليوم هذا واقعًا كذلك في المجتمع الربوي، ولو كنا نملك أن نمسك بكل قلب غافلٍ فنهزه هزًّا عنيفا حتى يستيقظ لهذه الحقيقة الماثلة، ونمسك بكل عينٍ مغمضة فنفتح جفنيها على هذا الواقع، لو كنا نملك لفعلنا، ولكنّنا لا نملك إلا أن نشير إلى هذه الحقيقة، لعل الله أن يهدي البشرية المنكودة الطالع إليها والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن والهدى هدى الله" .

فهو هنا يصف الأمة اليوم بالأمة الإسلامية رغم أنه يراها أمةً تعيسة، غير أنه لم ينفِ عنها إسلامها، ثم ذكر بعد ذلك حرصه وحرقة قلبه وروحه على إيقاظها من غفلتها، ولو كان يرى فيها كفرًا أكان يحترق قلبه عليها ؟؟..

ويقول في تفسير الآيات ١٥٩- ١٦٤ من سورة آل عمران :
"وكانوا يدركون -أي العرب قبل الإسلام- أن الإسلام والإسلام وحده هو الذي جعل لهم رسالة يقدمونها للعالم، ونظرية للحياة البشرية، ومذهبًا مميزًا للحياة الإنسانية، والأمة لا توجد في الحقل الإنساني الكبير إلا برسالة ونظرية ومذهب تقدمه للبشرية لتدفع بالبشرية إلى الإمام، وقد كان الإسلام وتصوره للوجود ورأيه في الحياة وشريعته للمجتمع وتنظيمه للحياة البشرية ومنهجه المثالي الواقعي الإيجابي لإقامة نظام يسعد في ظله الإنسان، كان الإسلام بخصائصه هذه هو بطاقة الشخصية التي تقدم بها العرب للعالم فعرفهم واحترمهم وسلمهم القيادة، وهم اليوم وغدا لا يحملون إلا هذه البطاقة ليست

لهم رسالة غيرها يتعرفون بها إلى العالم وهم إما أن يحملوها فتعـــرفهم البشرية وتكرمهم ؛ وإما أن ينبذوها فيعودوا همـــلا كمـــا كـــانوا لا يعرفهم أحد ولا يعترف بهم أحد"

ثم قال: "إن الأرض تعج بالفلسفات والمذاهب والمناهج الأرضية وتشقى بها جميعا غاية الشقاء، ماذا إذن يقدمون للبشرية لتعرفهم بـــه وتعترف لهم بالسبق والتفوق والامتياز؟ لا شيء إلا هـــذه الرســـالة الكبيرة، لا شيء إلا هذا المنهج الفريد، لا شيء إلا هذه المنـــة الـــتي اختارهم الله لها وأكرمهم بها وأنقذ بها البشرية كلها على أيديهم ذات يوم، والبشرية اليوم أحوج ما تكون إليها وهي تتردى في هاوية الشقاء والحيرة والقلق والإفلاس، إنها وحدها بطاقة الشخصية التي تقدموا بها قديما للبشرية فأحنت لها هامتها، والتي يمكن أن يقدموها لهـــا اليـــوم فيكون فيها الخلاص والإنقاذ.

إن لكل أمة من الأمم الكبيرة رسالة، وأكبر أمة هي التي تحمـــل أكبر رسالة، وهي التي تقدم أكبر منهج، وهي التي تتفـــرد في الأرض بأرفع مذهب للحياة، والعرب يملكون هذه الرسالة وهم فيها أصلاء، وغيرهم من الشعوب هم شركاء فأي شيطان يا ترى يصرفهم عن هذا الرصيد الضخم؟ أي شيطان؟ لقد كانت المنة الإلهية على هذه الأمـــة بهذا الرسول وبهذه الرسالة عظيمة عظيمة، وما يمكن أن يصرفها عـــن هذه المنة إلا شيطان وهي مكلفة من ربها بمطاردة الشيطان" .

فلو كان الشيخ يرى تكفير الأمة لما كان يجعلها مكلفةً من ربهـــا بمطاردة الشيطان !!!

ويقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير قوله تعالي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ أما ما وراء هذا الإثم المبين الواضح الظاهر ، والظلم العظيم الوقح الجاهر .. أما ما وراء ذلك من الذنوب – والكبائر – فإن الله يغفره – لمن يشاء – فهو داخل في حدود المغفرة – بتوبة أو من غير توبة كما تقول بعض الروايات المأثورة الواردة – ما دام العبد يشعر بالله ؛ ويرجو مغفرته ؛ ويستيقن أنه قادر على أن يغفر له ؛ وأن عفوه لا يقصر عن ذنبه . . وهذا منتهى الأمد في تصوير الرحمة التي لا تنفد ولا تحد ؛ والمغفرة التي لا يوصد لها باب ؛ ولا يقف عليها بواب ! أخرج البخارى ومسلم – كلاهما – عن قتيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر ، قال:خرجت ليلة من الليالي ، فإذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمشي وحده ، وليس معه إنسان . قال:فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد . قال:فجعلت أمشي في ظل القمر . فالتفت فرآني . فقال:" من هذا . " فقلت : أبو ذر – جعلني الله فداك — قال : " يا أبا ذر تعال ! " قال : فمشيت معه ساعة . فقال لي : "إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من أعطاه الله خيرا ، فيجعل يثه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه ، وعمل فيه خيرًا" .. قال : فمشيت معه ساعة ، فقال لي :" اجلس ها هنا" . فأجلسني في قاع حوله حجارة . فقال لي : "اجلس هاهنا حتى أرجع إليك": قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه . فلبث عني ، حتى إذا طال اللبث . . ثم إني سمعته وهو مقبل يقول :" وإن زنى وإن سرق " قال : فلما جاء لم

أصبر حتى قلت:يا نبي الله -جعلني الله فداك - من تكلمه في جانب الحرة ، ؟ فإني سمعت أحدًا يرجع إليك . قال:" ذلك جبريل ، عرض لي جانب الحرة ، فقال:" بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة " . قلت أيا جبريل . وإن سرق وإن زنى ؟. قال : "نعم" . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال :" نعم . وإن شرب الخمر" .

وأخرج ابن أبي حاتم - بإسناده - عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "ما من نفس تموت ، لا تشرك بالله شيئًا ، إلا حلت لها المغفرة ، إن شاء الله عذبها ، وإن شاء غفر لها . إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" .

وأخرج ابن أبي حاتم - بإسناده - عن ابن عمر قال : " كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس ، وآكل مال اليتيم ، وقاذف المحصنات ، وشاهد الزور . حتى نزلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة " !

وروى الطبراني - بإسناده - عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "قال الله عز وجل : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي. ما لم يشرك بي شيئًا"

وفي هذا الحديث الأخير لمحة كاشفة . . فالمهم هو شعور القلب بالله على حقيقته - سبحانه - ومن وراء هذا الشعور الخير . والرجاء . والخوف . والحياء . . فإذا وقع الذنب ، فمن ورائه هذه السمات تؤهل للتقوى وتؤهل للمغفرة . "

شهادة بعض المعاصرين للشيخ رحمه الله :

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله في رسالة موجهة إلى مجلة المجتمع : (إن كتابات سيد قطب تركزت حول موضوع معين، هو بيان المعنى الحقيقي للا اله إلا الله شعورا منه بأن كثيراً من الناس لا يدركون هذا المعنى على حقيقته، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان كما وردت في الكتاب والسنة، ولكنه مع ذلك حرص حرصا شديدا على أن يبين أن كلامه هذا ليس مقصودا به إصدار الأحكام على الناس، إنما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة، ليتبينوا هم لأنفسهم إن كانوا مستقيمين على طريق الله كما ينبغي، أم أنهم بعيدون عن هذا الطريق، فينبغي عليهم أن يعودوا اليه، ولقد سمعته بنفسي يقول أكثر من مرة (نحن دعاة ولسنا قضاة) كما سمعته أكثر من مرة يقول: (إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشك ، وهذا أمر ليس في أيدينا، ولذلك فنحن لا نتعرض لقضية الحكم على الناس) .

وفي مقابلة أجرتها مجلة المجتمع أيضا مع الحاجة : زينب الغزالي والتي سئلت فيها هل حقا أن الفكر الذي كان يتبناه سيد ويدرسه للإخوان هو تكفير أفراد المجتمع فأجابت بأنها قد سألت سيد رحمة الله عن ذلك فاستغرب هذا القول وبين أن هذا فهم خاطئ لما كتبه ، وبين أنه سيوضح هذا في الجزء الثاني للمعالم .. وقالت إن سيد لم يكن يكفر الأفراد بل كان يرى أن المجتمعات ابتعدت عن الإسلام إلى درجة جعلتها تفقد هذه الصفة .

وأخيرا فإليكم هذا النص الصريح من سيد قطب رحمه الله بعدم تكفيره للمجتمعات وهو ما جاء في اعتراف سيد قطب نفسه المسجل في محضر التحقيق الذي أجراه معه صلاح نصر ونقله بالحرف السيد سامي جوهر في كتابه " الموتى يتكلمون " :

س : هل ترى أن هناك فرقا بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان وغير المنتمي لتلك الجماعة ؟..

ج : الذي يميز الإخوان أن لهم برنامجا محددا في تحقيق الإسلام فيكونون مقدمين في نظري على من ليس لهم برنامج محدد .

س : فلم التمييز إذن بين أفراد هذه الجماعة وبين المسلمين قاطبة وهم جميعا أصحاب عقيدة وأهداف وبرنامج ؟..

ج : التمييز – في رأيي – ليس تمييز شخص على شخص ولكن فقط باعتبار أن الجماعة ذات برنامج وأن كل فرد فيها مرتبط بهذا البرنامج لتحقيق الإسلام عمليا وهذا وجه التمييز في رأيي .

س : هل كنتم ترون أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ مدة طويلة ولا بد من إعادتها للوجود ؟..

ج : لا بد من تفسير مدلول كلمة الأمة المسلمة التي أعنيها فالأمة المسلمة هي التي تحكم كل جانب من جوانب حياتها الفردية والعامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية شريعة الله ومنهجه . وهي بهذا الوصف غير قائمة الآن في مصر ولا في أي مكان في الأرض

وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين لأنه فيما يتعلق بالفرد الاحتكام إلى عقيدته وخلقه وفيما يتعلق بالأمة الاحتكـام إلى نظـام حياتها كله .

وقال سيد : إننا لم نكفر الناس ، وهذا نقل مشوه إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة ، وعدم تصـور مـدلولها الصحيح ، والبعد عن الحياة الإسلامية ، إلى حال المجتمعات الجاهلية ، وأنه من أجل هذا لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضـية إقامـة النظام الإسلامي ، ولكن تكـون إعـادة زرع العقيـدة ، والتربيـة الأخلاقية الإسلامية فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية أكثـر مـا تتعلق بالحكم على الناس .

وهكذا أخي القارئ الكريم يتضح موقف سيد رحمه الله تعالى من قضية التكفير التي نسبوها إليه كذبا وزورا فهو لم يكفر أحـدا مـن الأعيان و لم يكفر المجتمعات أو الأفراد . أما الذين وصفهم سيد بـأنهم ليسوا مسلمين أو بأنهم جاهليون أو غير ذلك من الأوصـاف الـتي استنتج منها البعض تكفير سيد للمجتمعات والأفراد تلك الأوصاف يطلقها سيد ويوضح في كلامه من المقصود بتلك الأوصاف وهم مـن استحل المحرمات أو جحد شريعة الله ، أو حكم بغير ما أنـزل الله أو رضي وقبل التحاكم إلى شريعة غير شريعة الله . ولا يوجد نصاً صريحاً في كتب سيد يقول فيه بكفر المجتمعات أو الأفـراد بـدون وجـود الأسباب المذكورة .

ولا يلزم من كلامه رحمه الله القول بكفر المجتمعات أو الأفـــراد لأن منهج أهل السنة والجماعة أن لازم كلام غير المعصوم غـــير لازم حتى يصرح صاحبه بالتزام ذلك اللازم ، وقد صرح سيد رحمه الله في التحقيق معه عندما سئل: هل ترون أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع؟

فأجاب رحمه الله قائلا : "الأمة المسلمة هي التي تحكم كل جانب من جوانب حياتها الفردية والعامة بشريعة الله وهي بهذا الوصف غـــير قائمة وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين لأنه فيما يتعلق بالفرد الاحتكام إلى عقيدته وخلقه وفيما يتعلق بالأمة الاحتكـــام إلى نظام حياتها كله".

بالإضافة إلي ما نقلناه عن رفاقه ومعاصريه من نفيهم عنـــه مثـــل ذلك القول وكذلك ما عرف من سيرته وتعايشه مع أفـــراد المجتمـــع وتعامله معهم معاملة المسلمين من محبّته لهم وتوجيهه لهـــم والعمـــل والتعامل اليومي معهم على ذلك الأساس .

سيد قطب ووحدة الوجود

والشبهة الخامسة هي ما يتهم به البعض سيد قطب رحمه الله تعالى بأنه من القائلين بوحدة الوجود !! بل أنه – أي سيد قطب رحمه الله – كان يؤمن بعقيدة وحدة الوجود في صباه وقد أشربها !! وعقيدة وحدة الوجود أخي القارئ الكريم يعرفها ابن القيم رحمه الله فيقول:

" قول أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود أنه ما ثم وجود قديم ووجود حادث مخلوق بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله وهو حقيقة وجود هذا العالم، فليس عند القوم رب وعبد ولا ملك ومملوك ولا راحم ولا مرحوم ولا عابد ولا معبود بل الرب هو نفس العبد وحقيقته والملك هو عين المملوك والراحم هو عين المرحوم والعابد هو نفس المعبود وإنما التغاير أمر اعتباري بحسب مظاهر الذات وتجلياتها مدارج السالكين ١/٦٠-٦١ .

فهل قال سيد قطب بهذا الهراء يوما ما ؟ اسمع يا أخي ما يقوله سيد قطب في هذه العقيدة الفاسدة:

قال سيد في الظلال : والنظرية الإسلامية أن الخالق غير المخلوق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة وحدة الوجود على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح أي بمعنى

أن الوجود وخالقه وحدة واحدة أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس والوجود وحدة في نظر المسلم علـــى معـــنى آخـــر .وحدة صدوره عـــن الإرادة الواحـــــدة الخالقـــــة . ووحـــــدة ناموســـه الذي يسير بـــه . ووحـــدة تكوينـــه وتناسقـــه واتجاهـــه إلى ربـــه في عبادة وخشـــوع بل لـــه مـــا في الســـماوات والأرض كـــل لـــه قانتـــون .

وقال في تفسير سورة الشوري : إنه هو الذي جعلكم – أنـــتم والأنعام – تتكاثرون وفق هذا المنهج وهذا الأسلوب . ثم تفـــرد هـــو دون خلقه جميعا ، فليس هنالك من شيء يماثله – سبحانه وتعالى – : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ . . والفطرة تؤمن بهـــذا بداهـــة . فخـــالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه . . ومن ثم فإنها ترجع كلها إلى حكمه عندما تختلف فيما بينها على أمر ، ولا ترجع معه إلى أحد غيره ؛ لأنه ليس هناك أحد مثله ، حتى يكون هناك أكثـــر مـــن مرجع واحد عند الاختلاف .

ومع أنه – سبحانه – ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ . . فإن الصـــلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل . فهو يسمع ويبصر: (وهو السميع البصير). . ثم يحكم حكم السميع البصير .

وقال في تفسير آية الكرسي : ﴿ مَن ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنه ﴾ (البقرة : ٢٥٥) . وهذه صفة أخرى من صفات الله ؛ توضح مقام الألوهية ومقام العبودية . . فالعبيد جميعا يقفون في حضرة الألوهية موقف العبودية ؛ لا يتعدونه ولا يتجاوزونه، يقفون في مقام العبد الخاشع الخاضع ؛ الذي لا يقدم بين يدي ربه ؛ ولا يجرؤ على الشفاعة عنده ، إلا بعد أن يؤذن له ، فيخضع للإذن ويشفع في حدوده . . وهم يتفاضلون فيما بينهم ، ويتفاضلون في ميزان الله . ولكنهم يقفون عند الحد الذي لا يتجاوزه عبد .

إنه الإيحاء بالجلال والرهبة في ظل الألوهية الجليلة العلية . يزيد هذا الإيحاء عمقا صيغة الاستفهام الاستنكارية ؛ التي توحي بأن هذا أمر لا يكون ؛ وأنه مستنكر أن يكون . فمن هو هذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ وفي ظل هذه الحقيقة تبدو سائر التصورات المنحرفة للذين جاءوا من بعد الرسل فخلطوا بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، فزعموا لله – سبحانه – خليطا يمازجه أو يشاركه بالبنوة أو بغيرها من الصور في أي شكل وفي أي تصور ، أو زعموا له – سبحانه – اندادا يشفعون عنده فيستجيب لهم حتما . أو زعموا له – سبحانه – من البشر خلفاء يستمدون سلطانهم من قرابتهم له . . في ظل هذه الحقيقة تبدو تلك التصورات كلها مستنكرة مستبعدة لا تخطر على الذهن ؛ ولا تجول في الخاطر ، ولا تلوح بظلها في خيال !

وهذه هي النصاعة التي يتميز بها التصور الإسلامي ؛ فلا تدع مجالا لتلبيس أو وهم ، أو اهتزاز في الرؤية ! الألوهية الوهية . والعبودية عبودية . ولا مجال لالتقاء طبيعتهما أدنى التقاء . والرب رب، والعبد عبد . ولا مجال لمشاركة في طبيعتهما ولا التقاء .

فأما صلة العبد بالرب ، ورحمة الرب للعبد ، والقربى والود والمدد .. فالإسلام يقررها ويسكبها في النفس سكبا ؛ ويملأ بها قلب المؤمن ويفيضها عليه فيضا ؛ ويدعه يعيش في ظلالها الندية الحلوة . دون ما حاجة إلى خلط طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية . ودون ما حاجة إلى الغبش والركام والزغللة والاضطراب الذي لا تتبين فيه صورة واحدة واضحة ولا ناصعة ولا محددة !

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (**الأعراف : ١٨٨**) قال : ... وبهذا الإعلان تتم لعقيدة التوحيد الإسلامية كل خصائص التجريد المطلق من الشرك في أية صورة من صوره أو تنفرد الذات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شئ منها ولو كان هذا البشر محمداً رسول الله وحبيبه ومصطفاه عليه صلوات الله وسلامه.

وقال عند تفسير الآية ١١٦ من سورة البقرة : وعصم الإسلام أهله المؤمنين بحقيقته أن يضربوا في هذا التيه بلا دليل ، وأن يحاولوا هذه المحاولة الفاشلة ، الخاطئة المنهج ابتداء . فلما أن أراد بعض متفلسفتهم متأثرين بأصداء الفلسفة الإغريقية - على وجه خاص - أن يتطاولوا إلى ذلك المرتقى ، باءوا بالتعقيد والتخليط ، كما باء أساتذتهم الإغريق ! ودسوا في التفكير الإسلامي ما ليس من طبيعته ، وفي التصور الإسلامي ما ليس من حقيقته .. وذلك هو المصير المحتوم لكل محاولة العقل البشري وراء مجاله ، وفوق طبيعة خلقته وتكوينه .

والنظرية الإسلامية : أن الخلق غير الخالق . وأن الخالق ليس كمثله شيء .. ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة:"وحدة الوجود" على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح - أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة - أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده .. أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس .. والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر:وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة ، ووحدة ناموسه الذي يسير به ، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع : ﴿ **بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴾ (**البقرة : ١١٦**) فلا ضرورة لتصور أن له من بين ما في السماوات والأرض ولدا .. فالكل من خلقه بدرجة واحدة .

وقال في كتابه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته أيضا: يقوم التصور الإسلامي على أساس أن هناك أُلوهية وعبودية ... أُلوهية يتفرد بها الله سبحانه، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ... وكما يتفرد الله سبحانه بالأُلوهية كذلك يتفرد تبعا لهذا بكل خصائص الألوهية ... وكما يشترك كل حي وكل شئ - بعد ذلك - في العبودية، كذلك يتجرد كل حي وكل شئ من خصائص الألوهية ...... فهناك إذاً وجودان متميزان . وجود الله ، ووجود ماعداه من عبيد الله ، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد ... .

فكيف ينسبون للشيخ رحمه الله القول بتلك العقيدة ؟

هل عندما يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى ﴿ هُــوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد : ٣) :

"وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض حتى تطالعه حقيقة أُخرى لعلها أضخم وأقوى حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة . فالكينونة الواحـــدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه ومن ثم فهي محيطه بكل شـــئ عليمـــة بكل شئ . ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَـــيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأول فليس قبله شئ والآخر فليس بعده شئ والظاهر فليس فوقه شئ والباطن فليس دونه شئ . الأول والآخر مستغرقا كل حقيقة الزمان ، والظاهر والباطن مستغرقا كل حقيقة المكان . وهما مطلقتان ويلفت القلب البشري فلا يجد كينونة لشـــيء إلا لله . وهـــذه كـــل مقومات الكينونة ثابتة له دون سواه حتى وجود هذا القلب ذاتـــه لا يتحقق إلا مستمدا من وجود الله . فهذا الوجود الإلهي هو الوجـــود الحقيقي الذي يستمد منه كل شئ وجوده وهذه الحقيقة هي الحقيقـــة الأولى التي يستمد منها كل شئ حقيقتـــه . وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود ...

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ... علم الحقيقة الكاملة . فحقيقـــة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها . فهي مســـتغرقة إذن بعلم الله اللدني لها . العلم الذي لا يشاركه أحد في نوعه وصـــفته وطريقته . مهما علم المخلوقون عن ظواهر الأشياء !..

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب ، فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله سبحانه ؟ وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود – حتى ذلك القلب ذاته – إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى ؟ وكل شيء وهم ذاهب ، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله ، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء ؟..

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة . فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ، فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها ، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى ! .

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى ، وهاموا بها وفيها ، وسلكوا إليها مسالك شتى ، بعضهم قال إنه يرى الله في كل شيء في الوجود . وبعضهم قال : إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود . وبعضهم قال إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود .. وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال . إلا أن ما يؤخذ عليهم – على وجه الإجمال – هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور . والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها ، بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة من احتفال وعناية وجهد لتحقيق منهج الله في الأرض ، باعتبار هذا كله ثمرة لتصور تلك الحقيقة تصوراً متزناً ، متناسقاً مع فطرة الإنسان وفطرة الكون كما خلقهما الله " .

هل هو يتحدث عن وحدة الوجود أم يتحدث عن الحقيقة الإلهية بأن الله خالق هذا الكون وما فيه والعالم بكل شئ والمحيط به والفاعل الحقيقي فيه .. ولذلك كل ما في الوجود خاضع لله عز وجل لا يخرج عن أمره ... ويدعو القاري أن يعيش هذه الحقيقة الاعتقادية .

ألم ينتبه إلي قوله في نفس العبارة : فحقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها . فهي مستغرقة إذن بعلم الله اللدني بها . العلم الذي لا يشاركه أحد في نوعه وصفته وطريقته . مهمـــا علـــم المخلوقون عن ظواهر الأشياء ! .

ألم يفرق في نفس هذه العبارة بين علم الله وعلم المخلوقـــون ؟.. هل هذا قول من لا يفرق بين العبد والرب فالعبد رب والرب عبد — حاشا لله — كما يقول أهل وحدة الوجود أخزاهم الله ؟..

ألم يقرأوا في نفس العبارة قوله رحمه الله : بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة من احتفال وعناية وجهد لتحقيـــق منهج الله في الأرض .

ألم تفرق العبارة بين الله سبحانه وتعالي — صاحب المنهج — وبين القائم بالخلافة في الأرض ، أين هذا من القول بوحدة الوجود ؟ !!

حقا إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

هل حينما يقول سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص : " أنها أحدية الوجود إلى أن قال وهذه درجه يرى فيها القلب يد الله في كل شي يراه . ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله الخ " .

هل هو يتحدث عن وحدة الوجود بمفهومها الباطل أم أنه يتحدث عن أحدية الوجود التي لا تكون إلا لله والتي ينتج عنها أحدية الفاعلية التي ينتج عنها نفي فاعلية الأسباب الظاهرة كلها ، ورد كل شئ وكل حدث وكل حركة في هذا الكون إلى الله وحده سبحانه وينتج عن ذلك تنحية الأسباب الظاهرة عن التأثير في هذا الكون والانتباه إلى المسبب الذي خلق هذه الأسباب ووجهها كيف شاء ؟

إنه يتحدث عن ذلك المعنى الذي قال فيه : والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر .وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة . ووحدة ناموسه الذي يسير به . ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون .

هذه أخي حقيقة التهمة الباطلة التي وجهت للشيخ سيد قطب رحمه الله بالقول بوحدة الوجود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفصل الرابع

فتاوى بعض العلماء والدعاة
حول الشيخ سيد قطب رحمه الله

فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين

سئل الشيخ عبد الله بن جبرين عن من يبدعون الشيخين حسن البنا وسيد قطب وينهون عن قراءة كتبهم ، فأجاب :

الحمد لله وحده ... وبعد

لا يجوز التبديع والتفسيق للمسلمين لقول النبي (صلي الله عليه وسلم) : (من قال لأخيه يا عدو الله وليس كذلك حار عليه) ، وفي الحديث : (أن من كفر مسلما فقد باء بها أحدهما) ، وفي الحديث: (أن رجلا مر برجل وهو يعمل ذنبا فقال والله لا يغفر الله لك . فقال من ذا الذي يتألي علي أني لا أغفر لفلان ، إني غفرت له وأحبطت عملك).

ثم أقول إن سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين ومن أهل الدعوة وقد نصر الله بهما وهدي بدعوتهما خلقا كثيرا ولهما جهود لا تنكر ولأجل ذلك شفع الشيخ عبد العزيز بن باز في سيد قطب عندما قرر عليه القتل وتلطف في الشفاعة فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال — عليه من الله ما يستحق — ولما قتل كل منهما أطلق على كل واحد أنه شهيد لأنه قتل ظلما ، وشهد بذلك الخاص والعام ونشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار ثم تلقى العلماء كتبهما ، ونفع الله بهما و لم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عاما وإذا وقع لهم مثل ذلك كالنووي والسيوطي ، وابن الجوزي وابن عطية ، والخطابي

والقسطلاني ، وأمثالهم كثير ، وقد قرأت ما كتبه الشيخ ربيع المدخلي في الرد على سيد قطب ورأيته جعل العناوين لما ليس بحقيقة ، فرد عليه الشيخ بكر أبو زيد ــ حفظه الله ــ وكذلك محامل على الشيخ عبد الرحمن وجعل في كلامه أخطاء مضللة مع طول صحبته له من غير نكير ..

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ..... ولكن عين السخط تبدي المساويا .

فتوى الشيخ محمد حسان

وعلي سؤال مشابه أجاب الشيخ محمد حسان :

نسأل الله -عز وجل- أن يجعل الشيخ سيد قطب -رحمه الله- عنده من الشهداء فهو الرجل الذي قدّم دمه وفكره وعقله لدين الله -عز وجل- نسأل الله أن يتجاوز عنه بمنه وكرمه، وأن يغفر لنا وله وأن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأنا أُشهد الله أني أحب هذا الرجل في الله مع علمي يقيناً أن له أخطاء وأنا أقول: لو عاملتم يا شباب شيوخ أهل الأرض بما تريدون أن تعاملوا به الشيخ سيد قطب فلن تجدوا لكم شيخاً على ظهر الأرض لتتلقوا العلم على يديه لأن زمن العصمة قد انتهى بموت المعصوم محمد بن عبدالله وكل كتاب بعد القرآن معرض للخلل ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** ﴾ **(النساء : ٨٢)** .

لذا فأنا أحب هذا الرجل مع علمي ببعض أخطائه وأقول ومَن من البشر لم يخطئ؟ (فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وأذكر يوم أن كنت أدرس لطلاب كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم ويوماً استشهدت بفقرة للشيخ سيد قطب -رحمه الله- فردّ عليّ طالب من طلابنا فقال:يا شيخ قلت: نعم، قال: أراك تكثر الاستشهاد بأقوال سيد قطب. قلت : وهل تنقم عليّ في ذلك ؟ قال : نعم، قلت : و لم ؟ قال : لأنه كان فاسقاً. قلت : و لم ؟ قال : لقد كان حليقاً، فقلت: يا أخي إن الإسلام في حاجة إلى شعور حي لا إلى شعر بغير شعور، مع أنني ما كنت ولن أكون أبداً ممن

يقللون من قدر اللحية بل أنا الذي أقول إن إعفاء اللحية واجـــب لأن الأمر في السنة للوجوب ما لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجـــوب إلى الندب ((اعفوا اللحى)) ((وفروا)) ((ارخوا)) الأمر للوجـــوب إذا لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب لكـــن أقـــول: لا ينبغي أن نزن بهذه القسمة الضيزى رجل وأسعد قلبي سعادة غامرة أخ حبيب من أخواني الدعاة الكبار ، وقال لي: بأن عنده صورة للشـــيخ سيد قطب وهو بلحية كثة ولكنه حلق مع هذا البلاء الذي صبّ على رأسه في السجن والمعتقل فلا ينبغي على الاطـــلاق أن نـــزن النـــاس والمناهج بهذا الظلم، رجل زلّ أخطأ في الظلال أو في بعض كتبـــه لا ننكر ذلك لكن لا ينبغي الاطلاق، أن ننسف جهد الرجل وأن نتهمه والعياذ بالله بالضلال يعني (ما نيش حسمي كتب) لن أسمـــي كتابـــاً الآن لكن هناك كتب تزيد عن المائتين صفحة تنقد سيد قطب وهـــذا أمر عادي جدا ما فيش فيه أي حرج لكن الكاتب لم يترحم على سيد قطب مرة واحدة ثم قال بالحرف: (سيد قطب ضال مضل) هذا ظلم ظلم ظلم بشع، وبعدين كاد قلبي يخرج من صـــدري وأنـــا أقـــرأ في الفهارس لهذا الكتاب عنواناً جانبياً في الفهرس يقول: (سيد قطـــب – يعني عنوان خطير جدا جدا- سيد قطب يدعو إلى شـــرك الحاكميـــة قلت : دا الرجل ما ماتش إلا عشان القضية دي دا لم يعدم سيد قطب إلا من أجل قضية الحاكمية فهذا ظلم – يعني مجرد العنوان نفسه ظلم قمة في الظلم رجل زل في مبحث الأسماء والصفات آه نعـــم زل زل سيد قطب في مبحث الأسماء والصفات وزل غيره من أئمتنا الكبـــار النووي -رحمه الله- الحافظ ابن حجر -رحمه الله- الزركشي قصدي

ابن الأثير زل في مبحث الأسماء والصفات نكفـــر ونضـــلل ونفســـق ونبدع هذا منهج منحرف، الكلام دا كله مع من يشار إليهم بـــأنهم أصحاب المنهج الحق الصحيح إنما إوْعَ تســـحب الكـــلام دا علـــى المبتدعين أصلا. لا .رجل مبتدع آه نحذر منه ونوبخه ونبكتـــه ونـــبين ضلاله ونبين فسقه ونبين بدعته دونما الحاجة إلى أن نبين محاسنه لا مـــا نبينش محاسن هو مبتدع أصلا وضال ، محاسن إيه اللي نبينـــها خـــلّ بالك من الكلام دا، الميزان دا في غاية الدقّة عشان ما تخـــتلطش بـــين الأمرين إنما رجل الأصل فيه أنه على منهج أهل السنة فلا أن أظهـــر المحاسن وأن أبين أخطاءه برفق وأدب، بنية إظهار الحق وإبطال الباطل إنما رجل مبتدع رجل والعياذ بالله على بدع شركية أقوم يجي واحـــد يقول لي يا شيخ من الظلم أنك ما تبينش محاسنه لا دا من العـــدل ألا أبين محاسنه لو كانت له محاسن بل ينبغي أن أبين خطره وأن أحذر منه دونما التدليس على الناس بأن لهذا الرجل محاسن. واضح الفرق ، يـــا أخوانا بين دي ودي هذه مهمة جدا عشان ما تخلطش وتتلخبط تطلع برى وتقول الشيخ قال كذا وكذا كلام واضح جدا بيّن ، فرق بـــين هذين الصنفين والنوعين .

فتوي الشيخ سلمان العودة

وعلي سؤال آخر أجاب الشيخ سلمان بن فهد العودة :

أما عن سيد قطب فقد قرأت معظم كتبه ، وإن شئت فقل : كل كتبه ، كما قرأت كثيراً مما كُتِبَ عنه ، ولعل أوفى كتـــاب في هـــذا الباب هو كتاب (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد) للـــدكتور صلاح الخالدي ، وللدكتور عناية خاصة بالأســـتاذ ســـيد ، وآخـــر مؤلفاته حوله رسالة كبيرة نشرت ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

والملحوظ أن الناس في سيد ، وفي غيره ، يكون فيهم المتوســـط المعتدل ، الذي ينظر بعين الإنصاف والتجرد والتحري ، ويكون فيهم المتطرف الذي يقع في التعصب والهوى ؛ وسيان أن يكون التعصـــب ضد الشخص مما يحمل على رد الحق الذي معه وتصيد الأخطاء عليـــه وتفسير كلامه على أسوأ الوجوه وعدم الاعتبار بالمتقدم والمتأخر مـــن كلامه ...أو أن يكون التعصب له مما يحمل على أخذ أقواله بـــدون تحفظ ، والغفلة عن أخطائه وعثراته ، والدفاع عنه بغير بصيرة ، بل : وربما اعتقاد العصمة في المتبوع بلسان الحال ، أو بلسان المقال .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مســـلم مـــن حديث ابن مسعود : (الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

والذي يخاف الله يتورع عن أعراض عامة المسلمين ، فضلاً عـــن خاصتهم من أهل العلم ، والدعوة والجهاد والدين .

والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب من أئمة الهدى والدين، ومن دعاة الإصلاح ، ومن رواد الفكر الإسلامي ... سـخّر فكـره وقلمه في الدفاع عن الإسلام ، وشرح معانيه ، ورد شبهات أعدائه ، وتقرير عقائده وأحكامه ، على وجه قلّ من يباريه أو يجاريه في هـذا الزمان .

وكان حديثه حديث المعايش الذي لابس همّ الإسـلام قلبـه ، وملك عليه نفسه ، قد شغله الحزن على الإسلام ، والغضب له ، حتى عن ذاته وهمومه الخاصة .

وكتابه الظلال يعتبر إضافة كبيرة لدراسة التفسير ، واستطاع فيه أن يستوعب كثيراً مما كتبه المتقدمون ، وأن يبني عليه رؤيته الخاصـة المتميزة ، وفهمه الثاقب ، ودرسه الغزير ، وأن يقرن آي الكتاب بحياة الناس المعاصرة حتى يشعر قارئه أن القرآن ليس كتاباً نزل لبيئة خاصة في المكان والزمان ، ولكنه هداية للناس أجمعين ، أياً كان زمـانهم أو مكانهم .

ولقد استفاد الأستاذ سيد من تفسير ابن كثير فائدة غنية ، ونقل عنه ، وربما اعتمد عليه خصوصاً في باب المرويات والأقاويل ، بل وفي أوجه الاختيار والترجيح.

كما انتفع بما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا في المنار فيما يتعلـق بربط هداية القرآن بنتائج العلم والبحـث الإنسـاني والاجتمـاعي والعمراني ، وفيما يتعلق بالتجرد عن التعصب والتقليد . ولكن يبقـى الظلال شيئاً آخر ، غير هذا وذاك .

نعم ؛ ليس الكتاب تفسيراً لآيات الأحكام ، ولهذا فهو لا يغني عن مثل كتاب القرطبي ، أو ابن العربي ، أو الجصاص ، أو غيرهم خصوصاً للمهتمين بمعرفة المذاهب الفقهية ، والترجيح بينها وليس تقريراً مفصلاً أو تعليمياً لكليات العقيدة وجزئياتها ، فهو لا يغني عن قراءة ما كتبه الإمام الفذ ابن تيمية ، أو تلميذه العَلَمْ ابن القيم ، في تقرير العقيدة ، والذب عنها ، ومناظرة خصومها .

بل ووقع في الظلال عثرات في هذا الباب وفي غيره ، ولكنها يسيرة إلى جنب ما فيه من الخير والعلم والإيمان .

ومن ذلك – تمثيلاً – اضطرابه في باب الاستواء – كما يعرفه من راجع تفسير هذه الآية في مواضعها السبعة المعروفة – ووقع منه في بعضها أن الاستواء كناية عن السيطرة والاستعلاء ، وهذا خطأ ، والصواب أن الاستواء ، كما قال مالك : معلوم ، من حيث المعنى ، مجهول ، أو غير معقول ، من حيث الكيفية ، وقد ذكر الأئمة في معناه : العلو ، والاستقرار ، والارتفاع ، والصعود ، والله أعلم .

ومن ذلك أنه يسمى توحيد الألوهية – الذي هو توحيد العبادة – باسم توحيد الربوبية ، ويسمي توحيد الربوبية باسم توحيد الألوهية، وهذا خطأ في اللفظ ، لكنه رحمه الله كان شديد الوضوح في إدراك هذه المعاني والحقائق وتقريرها .

ومن ذلك أنه كتب فصولاً موسعة في موضوع الدعوة ومنهجها، والموقف من المجتمعات المعاصرة ، وكتب ذلك بعاطفة مشبوبة ، ولغة قوية ، وغيرة على الدين ، وعلى المسلمين .. حملها بعض قارئيه ما لا تحتمل من المعاني واللوازم ، وتعاملوا معها على أنها نصوص تقرأ بحروفها وألفاظها ، وتحفظ وتتلى ويستشهد بها في مواطن النزاع ، ومضايق الجدل والمناظرة والخصام .

وبنى بعض هؤلاء على هذه القراءة الحرفية الضيقة تكفير الناس كافة ، أو التوقف بشأنهم أو الهجرة من ديارهم . إلى أين ؟ لا أدري !

وبنى آخرون عليها فكرة الانفصال عن المجتمعات وترك العمل فيها واعتزالها ، وفهمت كلمة سيد رحمه الله عن (العزلة الشعورية) بتكثيف قوي ، وترميز شديد ، جعلها بؤرة العمل والانطلاق .

والحق أن القراءة الحرفية الظاهرية لتراث كاتب ما ، ليست أمراً خاصاً وقع مع سيد قطب رحمه الله وحده ، لكنها مشكلة تراثية ، يعاد إنتاجها الآن مع عدد كبير من رموز العلم والفقه والدعوة والاجتهاد ، من المتقدمين والمعاصرين .

ولقد يكتب العالم بحثاً ، أو يقدم اجتهاداً ، أو ينتحل رأياً في مسألة ، وينتصر له بحسب ما توفر لديه آنذاك ، فيأتي الخالفون فيقرؤون نصه بقدسية تأسر عقولهم ، وتجعل همهم مقصوراً على إدراك النص وفهمه ، ثم تقريره وتوسيع دائرته ، ثم الاستشهاد له ومدافعة خصومه .

ولذلك يدري كل أحد ، أن الأئمة ، أصحاب المذاهب ، الفقهية وغير الفقهية ، لم يكونوا يشعرون أنهم يؤسسون مذهباً ، ويقيمون بناءً خاصاً ، راسخ القواعد ، مكتمل الأركان ، حتى جاء من بعدهم فأصّل وفصّل ، وجمع النظير إلى النظير ، وتعامل مع كلام الأئمة بحرفية بالغة ، بل عدّ بعضهم كلام الإمام ككلام الشارع ، من جهة المنطوق والمفهوم ، واللازم ، والقياس عليه ، والناسخ والمنسوخ ، والظاهر والنص .... الخ . هذا مع شدة نهي العلماء عن التقليد ، حتى إن منهم من كان ينهى عن تدوين آرائه الفقهية ، ويحذر من تناقلها .

وكلما كان العالم أوسع انتشاراً ، وأكثر أتباعاً ، وأوغل في الرمزية – لأي سبب – كان الأمر بالنسبة له أشد ، وكانت المشكلة أظهر ، لكنها تخف تدريجياً بتقدم الزمن ، ولو من بعض الوجوه .

هذه ليست مشكلة العالم أو المفكر ، بقدر ما هي مشكلة القارئ أو المتلقي ؛ وأياً ما كانت فهي مما يحتاج إلى بحث ودراسة .

وقديماً كان علي رضي الله عنه يقول قولته المشهورة : يهلك فيّ رجلان : غالٍ وجافٍ .

والخلاصة : أن سيد قطب وغيره من أهل العلم يؤخذ من قولهم ويترك ، ويصيبون ويخطئون ، ويردون ويرد عليهم ، وهم إن شاء الله بين أجر وأجرين ، ولئن حرموا أجر المصيب في عشر مسائل ، أو مائة مسألة فلعلهم – بإذن الله – ألا يحرموا أجر المجتهد .

ومن أفضل ما كتبه سيد قطب كتاب (خصائص التصور الإسلامي) ، والذي ظهر جزؤه الأول في حياته ، وأخرج أخوه الأستاذ محمد قطب حفظه الله جزءه الثاني بعد وفاته . وهو كتاب عظيم القدر في تقرير جملة من أصول الاعتقاد ، معتمداً على نصوص الكتاب الكريم بالمقام الأول ، مؤيداً لها بحجج العقل الظاهرة ، راداً على مقالات المخالفين والمنحرفين . وفيه رد صريح ومباشر على أصحاب مدرسة وحدة الوجود ، والحلولية ، وأضرابهم ، وحديث واضح عن الفروق العظيمة بين الخالق والمخلوق ، وبيان أن هذا من أعظم خصائص عقيدة التوحيد ، كما بينها الإسلام . فلا مجال مع هذا لأنه يحمل أحد الفيض الأدبي الذي سطره سيد في تفسير سورة الإخلاص على تلك المعاني المرذولة ، التي كان هو رحمه الله من أبلغ من رد عليها ، وفند شبهاتها .

وأذكر من باب الإنصاف أن أخانا الشيخ عبدالله بن محمد الدويش رحمه الله تعالى لما أشار عليه بعضهم بتعقب الظلال ، واستخراج ما وقع فيه ، فكتب مسوّدة كتابه (المورد العذب الزلال) ورد على ذلك الموضع في سورة الإخلاص ، فبلغني أنه فهم منه تقرير مذهب وحدة الوجود ، فبعثت إليه مع بعض جيرانه بالموضوع المتعلق بذلك من كتاب الخصائص والذي هو بيان جلي للمسألة لا لبس فيه، فكان من إنصافه رحمه الله ، أن أثبت ذلك في كتابه ، ونقل عن الخصائص ما يرفع اللبس .

علماً أن الحري بالباحث إجمالاً أن يفهم كلام الشيخ أو العالم بحسب ما تقتضيه نصوصه الأخرى فيرد بعضها إلى بعض ، ويفسر

بعضها ببعض ، ولا يتمسّك بكلمة يضع لها أقواساً ، ثم يعقد لها محكمة ! وقد يخطىء المرء في اللفظ وهو يريد معنى صحيحاً ، كما وقع للذي قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربّك ، يريد : أنت ربي وأنا عبدك ، وما كفر بذلك ولا أثم بل لعله كان مأجوراً مثاباً .

ومن المعلوم المستفيض أن سيداً رحمه الله مرّ في فكره وحياته بمراحل مختلفة ، وكتب في أول حياته مجموعة كتب أدبية ، مثل : كتب وشخصيات ، مهمة الشاعر في الحياة ، طفل من القرية ومجموعة من الدواوين الشعرية . وكتب مجموعة من الكتب الإسلامية مثل : التصوير الفني في القرآن ، مشاهد القيامة في القرآن ، العدالة الاجتماعية في الإسلام .

ثم في مرحلة النضج كتب الخصائص ، المعالم ، الظلال ، هذا الدين ، المستقبل لهذا الدين ، الإسلام ومشكلات الحضارة ... وربما كتباً أخرى نسيتها .

ومع ذلك كان يتعاهد كتبه بالتصحيح والمراجعة والتعديل - كما هو ظاهر في الظلال خاصة - حيث كان يعمل فيه قلمه بين طبعة وأخرى ، وهذا دأب المخلصين المتجردين .

وليعلم الأخ الكريم الناصح لنفسه أن الوقيعة في آحاد الناس ، فضلاً عن خاصتهم ، من أهل العلم والإصلاح والدعوة ، من شر ما يحتقب المرء لنفسه ، ولا يغتر المرء بمن يفعل ذلك ، كائناً من كان ؛ لأن الحساب في القيامة بالمفرد لا بالقائمة .

فتوي فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

وعلي سؤال آخر أجاب الشيخ حمود بن عقلاء الشعبي :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد

فإن المفكر الأديب سيد قطب رحمه الله لـه أعـداء كـثيرون، يختـلفون في كيفية النقد وأهدافه والغايات منـه، ويتـفـقون في مصالح مشتركة، وقبل أن أكشف بطلان مثالب الجراحين والمطـاعن الموجهة إلى سيد رحمه الله، أبين أولا لماذا يستهدف سيد قطب خاصة؟ ومن المستفيد من إسقاطه ؟..

إن سيدا رحمه الله يعد في عصره علما من أعلام أصحاب منـهج مقارعة الظالمين والكفر بهم ، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لـربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله ، فلم يقض إلا مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبدالناصر وأمثاله .. وما فرح أحد بقتله كما فـرح أولئك، ولقد ضاق أولئك الأذناب بهذا البطل ذرعا، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يحيي منهجه ويشعل كلماته حماسا، فزاد قبولـه بـين المسلمين وزاد انتشار كتبه، لأنه دلل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه، فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبة منهم لقتل منهجه أيضـا وأنى لهـم ذلك.

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وجدت له العثرات، فعنده أخطـاء

لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين .

وإني إذ أسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ (الأنعام: ١١٢)** فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فما يضير سيدا طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدّعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم والله يقول : **﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾** (**المطففين ١ : ٣**) فأولئك إذا أرادوا مدح أحد عليه من المآخذ ما يفوق سيدا بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة "تغمس أخطاؤه في بحر حسناته" وقالوا "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" وغير ذلك، وإذا أرادوا ذم آخر كسيد رحمه الله الذي يعد مجددا في باب (إن الحكم إلا لله) سلكوا معه طريق الخوارج وكفروه بالمعاصي والزلات .

وسيد رحمه الله لا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها، ولكنها لا تخل بأصل دعوته ومنهجه، كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدح في منزلتهم وعلى سبيل

المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم، فهؤلاء لهم أخطـــاء في العقيدة إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحدا من أبناء الأمة ولا أعلامهـــا يمتـــنع من الاستفادة منهم أو يهضمهم حقهم وينكر فضائلهم ، فهم أئمة إلا فيما أخطئوا فيه، وهذا الحال مع سيد رحمه الله فأخطـــاؤه لم تقدح في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم.

والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يســـتفاد من قول الله تعالى ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْـــمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ **(البقـــرة : ٢١٩)** فكل من حقق ما يجب تحقيقه من أصل الدين، ينظر بعد ذلك في سائر منهجه فإن كان خطؤه أكثر من صوابه وشره يغلب على نفعه فإنـــه يهمل قوله وتطوى كتبه ولا تروى ، وعلى ذلك فالقول الفصـــل في سيد رحمه الله أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عـــن (لا إله إلا الله)، لا سيما أنه حقق أصول المعتقد الصـــحيح ، وإن كـــان عليه بعض المآخذ وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها رحمه الله .

وختاما لا يسعني إلا أن اذكر أنني أحسب ســـيدا والله حســـيبه يشمله قوله عليه الصلاة والسلام (سيد الشهداء حمزة، ورجـــل قـــام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله) فنحسب أن سيدا رحمه الله قـــد حقق ذلك الشرط حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتلـــه .. وأنقل كلمة له رحمه الله قبل إعدامه بقليل عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبـــأ الحكـــم عليـــه بالإعـــدام

"الشهادة" وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط فسأله قائلا : أنت تعتــقد أنك ستكون شهيدا فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلا : الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن ديـــن الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداء لدين الله .

وله رحمه الله من المواقف والأقوال التي لا يشك عارف بالحق أنها صادرة عن قلب قد مليء بحب الله وحب رســوله صـــلى الله عليـــه وسلم، وحب التضحية لدينه، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا وإياه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخطاب الذهبي للشيخ بكر عبدالله أبو زيد

أرسل الدكتور ربيع بن هادي المدخلي كتابه "أضواء إسـلامية على عقيدة سيد قطب وفكره" إلى الأستاذ الدكتور بكر عبدالله أبـو زيد طالبا منه تقديمه و التعليق عليه فرد عليه بهذه الرسالة

فضيلة الأخ الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي .. الموقر

السلام عيكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فأشير إلى رغبتكم قراءة الكتاب المرفق "أضواء إسـلامية علـى عقيدة سيد قطب وفكره".. هل مـن ملاحظـات عليـه ثم هـذه الملاحظات هل تقضي على هذا المشروع فيطوى ولا يروى، أم هي مما يمكن تعديلها فيترشح الكتاب بعد الطبع والنشر ويكون ذخيرة لكم في الأخرى، بصيرة لمن شاء الله من عباده في الدنيا، لهذا أبدي ما يلي..

١- نظرت في أول صفحة من فهـرس الموضـوعات فوجـدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب رحمه الله، أصول الكفـر والإلحـاد والزندقة، القول بوحدة الوجود، القول بخلق القرآن، يجوز لغير الله أن يشرع، غلوه في تعظيم صفات الله تعالى، لا يقبل الأحاديث المتواترة، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها، يكفر المجتمعات ..إلى أخر تلك العناوين التي تقشعر منها جلود المؤمنين.. وأسفت على أحـوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم ينبهوا على هذه الموبقات.. وكيف الجمع بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس، وعامتـهم يستفيدون منها، حتى أنت في بعض ما كتبت، عنـد هـذا أخـذت

بالمطابقة بين العنوان والموضوع، فوجدت الخبر يكذبه الخبر، ونهايتـــها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي، إلى الوقيعة في ســـيد رحمه الله، وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح، وإن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حســـناته إلى مـــن يعتقـــد بغضـــه وعداوته.

٢- نظرت فوجدت هذا الكتاب يــفــتــقــد:

أصـــول البحث العلمي، الحيـــدة العلميـــة، منهـــــج النقـــد، أمانـــة النقل والعلم، عـــدم هضم الحق.

أما أدب الحوار وسمو الأسلوب ورصانة العرض فـــلا تمـــت إلى الكتاب بهاجس.. وإليك الدليل ...

أولاً : رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد رحمه الله تعالى من طبعات سابقة مثل الظلال والعدالة الاجتماعية مع علمكـــم كمـــا في حاشية صـــ ٢٩ وغيرها، أن لها طبعات معدلة لاحقـــة، والواجـــب حسب أصول النقد والأمانة العلمية، تسليط النقد إن كان على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب، لأن ما فيها من تعديل ينسخ مـــا في سابقتها وهذا غير خاف إن شاء الله تعالى على معلوماتكم الأوليـــة، لكن لعلها غلطة طالب حضر لكم المعلومات ولما يعرف هذا ؟؟، وغير خاف لما لهذا من نظائر لدى أهل اعلم، فمثلاً كتاب الروح لابن القيم لما رأى بعضهم فيما رأى قال : لعله في أول حياته وهكذا في مـــواطن لغيره، وكتاب العدالة الاجتماعية هو أول ما ألفه في الإسلاميات والله المستعان.

ثانيًا : لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هـــذا الكتـــاب قولكم (سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع)، فهرعت إليها قبل كـــل شيء فرأيت الكلام بمجموعه نقلاً واحدًا لسطور عديدة مـــن كتابـــه العدالة الاجتماعية وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي، ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة، فكيف نحولها إلى مؤاخـــذة مكفـــرة، تنسف ما بنى عليه سيد رحمه الله حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله تعالى (في الحكم والتشريع) ورفض سن القوانين الوضـــعية والوقوف في وجوه الفعلة لذلك، إن الله يحب العدل والإنصـــاف في كل شيء ولا أراك إن شاء الله تعالى إلا في أوبة إلى العدل والإنصاف.

ثالثًا : ومن العناوين الاسفزازية قولكم (قول سيد قطب بوحـــدة الوجود).

إن سيدًا رحمه الله قال كلامًا متشابهًا حلق فيـــه بالأســـلوب في تفسير سورتي الحديد والإخلاص وقد اعتمد عليه بنسبة القول بوحدة الوجود إليه، وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة مـــن رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود، ومنه قوله: ((ومن هنـــا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود)) وأزيدكم أن في كتابه (مقومات التصور الإسلامي) ردًا شافيًا علـــى القـــائلين بوحدة الوجود، لهذا فنحن نقول غفر الله لسيد كلامه المتشابه الـــذي جنح فيه بأسلوب وسع فيه العبارة.. والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه، لهذا أرجو المبادرة إلى شطب هذا التكفير الضـــمني لسيد رحمه الله تعالى وإني مشفق عليكم .

رابعًا : وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح إنك تحت هـــذه العناوين (مخالفته في تفسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغـــة وعـــدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد) .

أقول أيها المحب الحبيب، لقد نسفت بلا تثبت جميع ما قرره سيد رحمه الله تعالى من معالم التوحيد ومقتضياته، ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة فجميع ما ذكرته يلغيه كلمة واحدة، وهي أن توحيد الله في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد، وســـيد رحمه الله تعالى ركز على هذا كثيرًا لما رأى من هذه الجرأة الفـــاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغيره وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها ولا شك أن هذه جرأة عظيمة ما عاهدتها الأمة الإســـلامية في مشوارها الطويل قبل عام (١٣٤٢هـــ).

خامسًا: ومن عناوين الفهرس (قول سيد بخلق القرآن وأن كـــلام الله عبارة عن الإرادة).. لما رجعت إلى الصفحات المذكورة لم أجـــد حرفًا واحدًا يصرح فيه سيد رحمه الله تعالى بهذا اللفظ (القرآن مخلوق) كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات، إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب كقوله (ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها ـــ أي الحروف المقطعة ـــ مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا مـــن صـــنع الناس) ..وهي عبارة لا شك في خطأها ولكن هل نحكم من خلالها أن سيدًا يقول بهذه المقولة الكفرية (خلق القرآن) اللـــهم إني لا أســـتطيع تحمل عهدة ذلك.. لقد ذكرني هذا بقول نحوه للشيخ محمد عبد الخالق

عظيمة رحمه الله في مقدمة كتابه دراسات في أسلوب القرآن الكريم والذي طبعته مشكورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهل نرمي الجميع بالقول بخلق القرآن اللهم لا، واكتفي بهذا من الناحية الموضوعية وهي المهمة.

ومن جهات أخرى أبدي ما يلي:

١- مسودة هذا الكتاب تقع في ١٦١ صفحة بقلم اليد، وهي خطوط مختلفة، ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد، إلا أن يكون اختلف خطكم، أو اختلط علي، أم أنه عُهد بكتب سيد قطب رحمه الله لعدد من الطلاب فاستخرج كل طالب ما بدا له تحت إشرافكم، أو بإملائكم. لهذا فلا أتحقق من نسبته إليكم إلا ما كتبته على طرته أنه من تأليفكم، وهذا عندي كاف في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم.

٢- مع اختلاف الخطوط إلا أن الكتاب من أوله إلى أخره يجري على وتيرة واحدة وهي : أنه بنفس متوترة وهيج مستمر، ووثبة تضغط على النص حتى يتولد منه الأخطاء الكبار، وتجعل محل الاحتمال ومشتبه الكلام محل قطع لا يقبل الجدال...وهذا نكث لمنهج النقد: الحيدة العلمية .

٣- من حيث الصيغة إذا كان قارنًا بينه وبين أسلوب سيد رحمه الله، فهو في نزول، سيد قد سَمَا، وإن اعتبرناه من جانبكم الكريم فهو أسلوب "إعدادي" لا يناسب إبرازه من طالب علم حاز على العالمية العالية، لا بد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي، والقدرة على البلاغة والبيان، وحسن العرض، وإلا فليكسر القلم.

٤- لقد طغى أسلوب التهيج والفزع على المنهج العلمي النقدي ....ولهذا افتقد الرد أدب الحوار.

٥- في الكتاب من أوله إلى آخره تهجم وضيق عطن وتشنج في العبارات فلماذا هذا...؟

٦- هذا الكتاب ينشط الحزبية الجديدة التي أنشئت في نفوس الشبيبة جنوح الفكر بالتحريم تارة، والنقض تارة وأن هذا بدعة وذاك مبتدع، وهذا ضلال وذاك ضال.. ولا بينة كافية للإثبات، وولدت غرور التدين والاستعلاء حتى كأنما الواحد عند فعلته هذه يلقي حملاً عن ظهره قد استراح من عناء حمله، وأنه يأخذ بحجز الأمة عن الهاوية، وأنه في اعتبار الآخرين قد حلق في الورع والغيرة على حرمات الشرع المطهر، وهذا من غير تحقيق هو في الحقيقة هدم، وإن اعتبر بناء عالي الشرفات، فهو إلى التساقط، ثم التبرد في أدراج الرياح العاتية .

هذه سمات ست تمتع بها هذا الكتاب فآل غير ممتع، هذا ما بدا إلي حسب رغبتكم، وأعتذر عن تأخر الجواب، لأنني من قبل ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل وإن تداولها الناس، لكن

هول ما ذكرتم دفعني إلى قراءات متعددة في عامة كتبه، فوجـــدت في كتبه خيرًا كثيرًا وإيمانًا مشرقًا وحقًا أبلج، وتشريحًا فاضحًا لمخططات العداء للإسلام، على عثرات في سياقاته واسترسال بعبرات ليته لم يفه بها، وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان أخر والكمـــال عزيـــز، والرجل كان أديبًا نقادة، ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القـــرآن العظيم والسنة المشرفة، والسيرة النبوية العطرة، فكان ما كـــان مـــن مواقف في قضايا عصره، وأصر على موقفـــه في ســـبيل الله تعـــالى، وكشف عن سالفته، وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار وقال كلمته الإيمانية المشهورة، إن أصبعًا أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمـــة تضارها... أو كلمة نحو ذلك، فالواجب على الجميع ...الدعاء لـــه بالمغفرة ...والاستفادة من علمه، وبيان ما تحققنا خطـــأه فيـــه، وأن خطأه لا يوجب حرماننا من علمه ولا هجر كتبه.. اعتبر رعـــاك الله حاله بحال أسلاف مضوا أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني كيـــف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية مع ما لديهما مـــن الطـــوا م لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة، وانظر منـــازل الســـائرين للهروي رحمه الله تعالى، ترى عجائب لا يمكن قبولها ومع ذلك فـــابن القيم رحمه الله يعتذر عنه أشد الاعتذار ولا يجرمه فيهـــا، وذلـــك في شرحه مدارج السالكين، وقد بسطت في كتاب "تصنيف الناس بـــين الظن واليقين" ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك .

وفي الختام فأني أنصح فضيلة الأخ في الله بالعدول عن طبع هـــذا الكتاب "أضواء إسلامية" وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه لما فيـــه مـــن التحامل الشديد والتدريب القوي لشباب الأمـــة علـــى الوقيعـــة في

العلماء، وتشذيبهم، والحط من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم..

واسمح لي بارك الله فيك إن كنت قسوت في العبارة، فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد وشفقتي عليكم ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه ... جرى القلم بما تقدم سدد الله خطى الجميع..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم بكر عبد الله أبوزيد

خاتمة

وبعد ...

وبعد أخي القارئ الكريم هل لنا أن نسألهم لماذا سيد قطب بالذات الذي توجهون له كل هذه السهام المسمومة ؟

هل حقا لأن سيد قطب كانت له زلات وأخطاء ؟ وهل من شروط العالم ألا يخطئ ؟ وهل كان غيره من العلماء معصوما ؟

أم لأن الشيخ رحمه الله كان صاحب منهجا فذا في مقارعة حكام الجور وأئمة الظلم والمبدلين لشرع الله والمنحرفين عنه ؟

أم لأن الشيخ رحمه الله كان من أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى التحاكم إلى شريعة الله ؟

أم لأن منهج الشيخ رحمه الله مازال يقض مضاجع أعداء الله ورسوله علي أيدي الشباب المؤمن ؟

إن استهداف سيد قطب رحمه الله ليس استهدافا مجردا لشخصه، والطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين .

والطعن في سيد قطب رحمه الله أمر غير مستغرب فالله عز وجل يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ﴾ (الأنعـام : ١١٢) فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فما يضير الشيخ رحمه الله طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته .

وختاما فقد مضي الشيخ إلي ربه ونحسبه من من يشمله قوله عليه الصلاة والسلام (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام عند سلطان جـائر فأمره ونهاه فقتله) فقد حقق رحمه الله ذلك الشرط حيث قال كلمـة حق عند سلطان جائر فقتله ..

الفهرس

رقم الإيداع ٢٣٥٠ / ٢٠٠٦ -